روايات أحلام

ليليان كيد

أنسى أنك امرأة

www.elromancia.com

٣١

مرمورية

ألست أنك امرأة!

منذ خمس سنوات انتهى كل شيء: يومها قررت جولي فولروك أن هناك أمور أهم من الحب في حياتها. ورفضت عرض الزواج الذي تقدم به راوول دي ڤيلانو. وتحمّل راوول خيبة أمله وتزوج من صديقتها أنيتا.

وختمت جولي على قلبها بالشمع الأحمر، وأصبحت امرأة ناجحة، وحيدة، وبدون مشاعر.

والآن يعود الماضي من جديد، فالصديقة التي كانت ذات يوم، زوجة الرجل الوحيد الذي أحبته ذات يوم، تتصل بها من ايطاليا لترجوها مساعدتها في حل مشاكلها.

السؤال الذي ظل يلاحق جولي دون جواب: لماذا قبلت بالسفر إلى ايطاليا: هل كان كرم أخلاق، تصرف غبي منها، أم حنين للحب الذي كان، والذي لا يمكن أن يعود؟

السعر ١٥٠٠ ل.ل. **تصدر عن دار الفراشة**

١ ـ صرخة من الماضي

كانت جولي وسط اجتماع هام عندما وصلتها مخابرة، وبدت سكرتيرتها لينا ستيوارث، مترددة في إزعاجها، وأخذت تشرح الأمر:

ـ إنها السنيورا دي ڤيلانو، آنسة فولروك، تقول إنها صديقة قديمة لك، ومن الضروري أن تتحدث إليك.

ـ سنيورا دي ڤيلانو؟

تحت نظرات المشاركين في الاجتماع المنتظرين بفارغ الصبر، أن تنتهي من مكالمتها ليعودوا إلى مناقشاتهم، وجدت جولي تفكيرها مغلقاً. هي لا تعرف أحداً يدعى سنيورا دي ڤيلانو. فلا بد أن لينا فهمت الاسم خطأ.

ـ أخشى أن...

ـ إنها تبدو مضطربة آنسة فولروك.. لا أريد إزعاجك، ولكنني أعتقد أنك يجب أن تتلقي المخابرة. تقول إنها كتبت لك و...

ـ آه.. انيتا!

أنيتا دي ڤيلانو! كانت تفكر بها على الدوام كأنيتا تاور، حتى أن

اسم راوول لم تكن تذكره. لقد مضت أكثر من خمس سنوات منذ أن تلقت آخر خبر عنها. والرسالة التي تلقتها منها لم تكن قد قرأتها كلها.

ـ هل ستتكلمين معها آنسة فولروك؟

ومالت جولي لأن ترفض. ولكن أنيتا تتصل من إيطاليا، فلا بد أن هناك شيئاً خاطئاً قد حدث لها. ونظراً للصداقة التي كانت تربطهما، قالت جولي لزملائها.

ـ اعذروني لبضع دقائق أيها السادة.

وتجاهلت ما كان يقوله غرانت اثرسون، وخرجت من الغرفة، مكتبها كان في الجهة المقابلة من الممر، في المكتب المجاور لمكتب باتريك دورلاند، المدير الإداري لشركة أدوات التجميل، وهو المكان المناسب لمساعدته الشخصية، وجولي كافحت بقوة للحصول على هذا المركز.

وقالت لها لينا وهما تسيران في الممر:

ـ آسفة يا آنسة فولروك، ولكنها بدت متضايقة جداً على الهاتف، ولم أدري ما أفعل.

ـ لا بأس يا لينا، أنت محقة بإخباري، فالسنيورا دي ڤيلانو وأنا صديقتين قديمتين.

ووصلتا إلى المكتب، فرفعت جولي السماعة، وأعلنت عن وجودها.

ـ جولي.؟.. جولي أهذه أنت؟ شكراً للسماء! لماذا لمْ تجيبي على رسالتي؟ ولماذا لا أجدك في المنزل كلما اتصلت بك؟ أحاول الاتصال بك منذ أيام!

ـ انيتا؟.. انيتا اهدأي.. أنا معك الآن، أتحدث إليك...

وما هو السبب اليائس الذي دفعك للاتصال بي في مركز عملي؟

ـ في عملك! ومتى تكونين في مكان آخر؟ لقد اتصلت بشقتك أربع مرات وكل مرة كانت تجيب عليّ مدبرة منزلك.

ـ السيدة باتس؟ إذاً أنت من كان يتصل. لماذا لم تعطيها اسمك؟ لقد اقتنعت السيدة باتس أن عصابة من اللصوص تخطط لسرقة المنزل. وأنك تتصلين لمعرفة ما إذا كنت في المنزل.

ـ أوه يا جولي! لم أستطع إعطاء اسمي.. لم أرغب في أن تتصلي بي هنا وتتحدثي مع راوول.

ـ حقاً؟

ـ لا.. ليس كما فهمت. لقد تجاوزت الأمر. فقط لا أريده أن يعرف أنني اتصلت بك.

ـ انيتا، عن ماذا تتكلمين؟

ولاحظت جولي توتراً في صوتها. خمس سنوات مدة طويلة ولكن هناك أشياء لا يمكن أن تنسى.

ـ أريدك أن تأتي إلى هنا للإقامة معي.. أرجوك يا جولي. لا تقولي لا. ليس قبل أن تسمعي الأسباب. أحتاج لمن يقف معي. وليس هناك شخص غيرك أستطيع التحدث معه.

ـ انيتا.. هذا مستحيل...

ـ ولماذا هو مستحيل؟ جولي، أنت لا تفهمين. أكاد أجن هنا. أحتاجك، ولا يمكنك الرفض دون الاستماع لما سأقوله لك.

وتنهدت جولي..

ـ انيتا، إذا كان هناك شيء قد حدث لزواجك...

ـ إذا حدث شيء لزواجي؟ جولي، كل شيء أصبح سيئاً، كل

www.elromancia.com

شيء. لهذا أريدك أن تأتي. لهذا أحتاج لأن أكلمك.. إذا لم أتحدث معك... سأجن!

ـ انيتا، والدتك...

ـ أنت تعرفين والدتي جيداً، ولا أستطيع التحدث معها...

ـ والدك إذاً.

ـ أوه... والدي! إنه مشغول جداً بعمله في المصرف، وبالكاد يلاحظ وجودي!

ـ هذا ليس صحيحاً يا انيتا.. أنت تعلمين أنه سيفعل ما بوسعه لتكوني سعيدة...

ـ طالما أن ما أريده يمكن شراءه ويمكن له أن يدفع. جولي... أنت تعرفين والدي. يعتقد أن المال يشتري كل شيء.

ـ المال يمكن أن يشتري أكثر الأشياء، انيتا، مهما ستقولين، فلا أظن أنني الشخص الذي تحتاجين إليه. ومهما يكن الأمر، فلماذا لا تتحدثين مع راوول بخصوصه...

ـ راوول! لا.. لا أستطيع. إنه يرفض الحديث حول الموضوع.

جولي.. أرجوك. أرجوك.! أعلم أننا لم نرى بعضنا منذ زمن طويل، وأعلم أنك لم تكوني سعيدة عندما تزوجت راوول، ولكن.. هذا كله من الماضي الآن. وبالتأكيد قد سامحتيني...

ـ لم يكن هناك ما يستحق كل هذا يا انيتا، لا بد أنك تعرفين...

ـ أعرف بأننا لم نتحدث عن الأمر، ولكن، أعلم أن الأمر لم يكن هيناً لك عدما تزوجني راوول...

وتمالكت جولي أعصابها، فلن تتورط في جدال حول راوول دي ڤيلانو، لن تفعل هذا! وكما قالت انيتا، كل شيء أصبح من

الماضي الآن. حتى إذا اعترفت بكرهها للتورط في مشاكل أنيتا فسترتاب بأنها لا تزال تحمل ضغينة في قلبها مما حدث. وقالت مستخدمةً اسم الدلع الذي كانت تناديها به:

ـ اسمعي يا نيتي. أنا الآن في وسط اجتماع مع مجموعة من مندوبي البيع، وأنا حقاً ليس عندي وقت لهذا. هل أستطيع أن أتصل بك لاحقاً؟

ـ لا... أعني.. أنا سأتصل بك، قولي لي فقط متى وأين، وسأتدبر الأمر.

ـ هذا المساء إذاً، في شقتي، حوالي السادسة والنصف.

ـ حسب ساعتنا أم ساعتكم؟

ـ الوقت الآن صيف. والساعات متماثلة.

وعلّقت السماعة قبل أن ترد عليها انيتا.

كان من الصعب عليها أن تعود إلى الاجتماع، وتستجمع خيوط النقاش الذي كانت تتبادله مع مندوبي البيع، خاصة أنها تعلم أن نصفهم مستاء لوجودها في الاجتماع أصلاً، ولكن باتريك دورلاند اختارها لهذه المهمة، وثقته في مقدرتها على تولي الأمر أثار غيرة زملاءها المتعصبين. وهي تعلم أيضاً أن العديد منهم يعتقد أن هذا التكليف عائد إلى جمال مظهرها أكثر من براعتها في مهنتها، ولكن جولي تعلّمت كيف تتجاهل الهمسات المهنية التي تعترض سبيلها.

وقالت بعد أن عادت لتأخذ مكانها في الاجتماع كرئيسة له:

ـ أقترح أن نتابع هذا الاجتماع بعد الغداء أيها السادة. أظن أننا بحاجة لبعض الوقت للتفكير بالاقتراحات التي قُدمت، وإذا كان لدى أي واحد منكم نقطة محددة يريد طرحها، بإمكانه الاتصال بالآنسة ستيوارث وستدبر له موعداً مناسباً بعد الظهر.

www.elromancia.com

وسألها غرانت اڤرسون:

ـ ستنضمين إلينا في الاجتماع يا جولي.. أليس كذلك؟ أم ربما لديك أمور أخرى لتهتمي بها.

وابتسمت جولي، ابتسامة انتصار:

ـ أوه أجل.. سأنضم إليكم يا غرانت، فلديّ نقطة أو اثنتين سأطرحهما بنفسي. وكممثلة للسيد دورلاند، أتوقع تقارير كاملة من كل منكم فيما يتعلق بأرقام المبيعات، كل في مجاله.

فأجابها غرانت:

ـ إذاً، أعتقد أننا لن نضيع وقت المؤسسة بانتظارك وأنت تتحدثين في مكالمات خاصة.

وأجابه هايز اندرهيل، أحد أقدم وكلاء البيع، وهو يربت على ظهره:

ـ لا تقل هذا يا اڤرسون! أنت فقط تغار لأن مساعدة مديرنا الإداري الجميلة، لا تتلقى مخابرات خاصة منك.

وعلّق مارك رامسدايل قائلاً:

ـ ربما يأمل أن يبعد الأنظار عن واقع أن المبيعات في المنطقة الجنوبية الشرقية كانت تنخفض مؤخراً. ما الأمر يا اڤرسون؟ هل فقدت براعتك؟

واستمر الحديث المتوتر قليلاً بينما كان الجميع يغادر مكان الاجتماع، ومع أن جولي كانت مسرورة لخروجها من الجدال بأفضل النتائج، إلا أن أفكارها بقيت مشغولة بالحديث الذي جرى بينها وبين انيتا دي ڤيلانو، فلم تكن تتصور ما هو الأمر السيء الذي حدث لزواج انيتا والذي استوجب أن تدعوها هذه الدعوة الغريبة وبينما كان فضولها يزداد كان هناك شعور مقلق ينذر بالشر يزداد

أيضاً. فهما لم تتصلا ببعضيهما بعد زواج انيتا من الكونت الإيطالي الثري.. فلماذا تتصل بها الآن، بينما المنطق يقضي أن تفضي بأسرارها إلى والدتها أو والدها؟

وجلست وراء طاولتها، في مكتبها، وتنهدت وأسندت ظهرها على المقعد تاركة كتفيها ترتاحان عليه. ولكنها أبقت يديها على الطاولة. على الرغم من تصميمها على أن تتنافس مع الرجل على قدم المساواة في عالمه، فإنها لا زالت أساساً أنثى. وهذا هو الآن ما يسبّب لها هذه التجاعيد في جبينها...

ماذا تقصد انيتا بالاتصال بها؟ لماذا تعرض مشاكلها على جولي؟ والأهم أكثر، كيف ستستطيع جولي التخلص من هذه الدعوة التي لا ترغب بها؟

ورفعت رأسها بحدة، بعد أن سمعت دقاً على الباب، وابتسمت بارتياح لرؤية السكرتيرة.

ـ أنا ذاهبة للغداء آنسة فولروك.. هل هناك ما تحتاجينه قبل أن أذهب؟

ـ لا.. شكراً يا لينا. سأتناول سندويشاً هنا في المكتب. وسأراجع البريد فيما بعد.

ـ حسناً آنسة فولروك، ليس بينها شيء مستعجل، أوه.. لقد اتصل السيد دورلاند، وطلب أن أخبرك بأنه سوف يكون في المكتب غداً صباحاً.

ـ جيد.. أظن أن بإمكاني متابعة أي أمر جديد. اذهبي وتناولي غداءك. قد أحتاجك للعمل هذا المساء.

ـ هذا المساء؟

وظهر الذعر على وجه الفتاة، وتحركت جولي لتضع ذراعيها

www.elromancia.com

على الطاولة.

ـ هل هناك مشكلة؟

ـ لدي موعد.. ولكنني أستطيع إرجاءه...

ـ ولكنك لا تريدين، أليس كذلك؟ أوكي يا لينا. ابقي على موعدك، إذا حدث شيء ضروري سأعمل غداً عند وقت الغداء، هه.؟

ـ أوه شكراً آنسة فولروك! أراك فيما بعد.

وما إن غادرت لينا الغرفة حتى وقفت جولي وسارت نحو النافذة. بدا لها أنه مر زمن طويل منذ كانت مثل لينا، وقطبت جبينها، ثم ابتسمت، إنه زمن طويل.. ثماني سنوات تقريباً.

كانت في الثامنة عشر عندما بدأت العمل في مؤسسة «هيلدا هايز» لأدوات التجميل. ولكنها على عكس لينا، جعلت من عملها محور وجودها.

منذ اليوم الأول، كانت طموحة. وقبل ذلك.. منذ أن كانت وأمها تناضلان لتبقيا رأسيهما مرتفعين، وأشفق عليها ابن عم لأمها فأرسلها إلى مدرسة مناسبة. وصمّمت على أن تحقق النجاح في حياتها.

والداها تطلقا عندما كانت صغيرة جداً، وما إن شقت جولي طريقها، حتى سارعت أمها إلى التقاعد في الريف برفقة قريبة عانس، ولم تشاهد والدها منذ سنوات، منذ أن كانت في المدرسة، وعلّمتها السنوات التي قضتها في المدرسة الداخلية أن تعتمد على نفسها.

وابتعدت عن النافذة، وسألت نفسها، وليس للمرة الأولى، كم يا ترى نجاحها كان يعتمد على جمالها. بالتأكيد كان رئيسها في

مكتب الدراسات، جورج كليفز، يجدها جذابة، جذابة جداً بحيث أنها اضطرت إلى ابعاد الاتهامات عن نفسها عندما دخلت زوجته مرة إلى المكتب لتجدها معه يبحثان عملية ترويج لأحد المستحضرات ولم يكن هناك أي سبب لجعل السيدة كليفز تتوتر، لأن جولي لم تكن تهتم بالرجال، ولا بإقامة علاقة معهم. ومع أن من في سنها قد يجد هذا أمر لا يصدق، إلا أنهم يعرفون أن سمعتها لا يمكن الشك بها، رجل واحد نجح في تفجير الضعف الذي كانت دائماً تتجنبه، ولكنها تعاملت معه بنفس القسوة التي تعامل بها والدها مع أمها، فلن يتمكن رجل من السيطرة عليها، لن يجعلها رجل تعتمد في حياتها عليه، لا مالياً ولا عاطفياً، فهناك طريقة واحدة للمرأة لتشق طريقها في هذا العالم، وهي بأن تبقى حرة، بعيدة عن اللمس، وقادرة على أن تبتعد عن نوع الحياة التي يرغب بها الرجال.

كان الوقت متأخراً في المساء عندما عادت إلى منزلها، متأخرة أكثر مما توقعت، بسبب خروج لينا باكراً، وقابلتها السيدة باتس بخبر اتصال «تلك المرأة» ثانية.

وتنهدت جولي، ونظرت إلى ساعتها لتجد أنها أصبحت السابعة والربع، فهزت رأسها وقالت:

ـ اعلم سيدة باتس، لقد اتصلت بي في المكتب، إنها فتاة أعرفها منذ كنا في المدرسة معاً.

ـ حقاً! ولماذا لم تقل لي من هي، بدلاً من أن ترفض ذكر اسمها؟ إذا كنتما صديقتان...

ـ لا تريد أن يعرف زوجها بأنها تتصل بي.

وتابعت بابتسامة بعد أن لاحظت التعبير غير المصدق على وجه

المرأة:

ـ هذا صحيح. ألم يكن هناك وقت أردتِ فيه أن تخفي شيئاً عن زوجك؟ ألم يكن عندك أسرار أردتِ إخفاءها؟

ـ لا أذكر..

وخلعت جولي حذاءها وهي تدخل إلى غرفة الجلوس وقالت:

ـ حسناً، أنت محظوظة.

ووضعت حقيبتها على المقعد وجلست قائلة:

ـ على كل الأحوال هذا يثبت كم قد تكون مثل هذه العلاقة محدودة.

ـ ومتى تريدين أن تتعشي؟ ستكون وجبة باردة، وهكذا تستطيعين تناولها متى شئت.

وتمددت جولي على الأريكة بارتياح.

ـ بعد ساعة، شكراً لك، أظن أنني سأغتسل قبل أن آكل، فأنا تعبة، وقد أنام باكراً.

ـ أنت تبدين فعلاً تعبة.

ـ شكراً لك.

ـ لا، أنت تعرفين ماذا أعني، أنت بحاجة إلى عطلة، فأنت لم تأخذي عطلة في السنة الماضية، وقد حلّ آخر أيار ولم تفكري بأي خطة لعطلة هذه السنة، ما تحتاجينه هو بضعة أسابيع تحت الشمس، بعيداً عن المكاتب والغرف المغلقة، وسيدعك السيد دورلاند تذهبين، متى شئتي... ألا يروق لك التشمس على شاطىء مشمس؟

ـ ليس تماماً. فأنا لست من النوع الذي يحب الكسل، إضافة إلى أننا بصدد إطلاق مجموعة مستحضرات جديدة خلال ثلاثة

أسابيع، ولا يمكن لي أن أكون بعيدة، فأنا المسؤولة عن هذه المجموعة.

ـ لو أخذتِ رأيي، فسأقول إن الأفضل لك أن تنشغلي بطفل خاص بك بدلاً من رعاية مستحضرات التجميل!

ونظرت إليها جولي ضاحكة وقالت:

ـ بدلاً من مستحضرات التجميل! هذا جيد، ويجب أن أتذكره، قد أستفيد من هذا الكلام في مجال ترويجنا للمستحضرات القادمة.

وتنهدت المرأة المسنة:

ـ ألا يمكن لك أن تكوني جادة أبداً؟

ـ حول إنجاب طفل؟ لا... فأنا لست متزوجة.

ـ وليس من المحتمل أن تتزوجي، نظراً للطريقة التي تتصرفين بها. ماذا حدث للسيد بندنغ اللطيف؟ لقد دعوته للعشاء عدة مرات هنا.. واعتقدت...

ـ روجر بندنغ هو صديق طيب.

ونهضت بتثاقل على قدميها.

ـ أظن أنني يجب أن أستحمّ الآن، وسأعلمك متى كنت مستعدة للعشاء.

وهزت السيدة باتس كتفيها، ولم تقل شيئاً، وكانت جولي ممتنة لهذا. فهي الآن ليست مستعدة للخوض في نقاش حول أسباب عدم رغبتها في رؤية روجر بندنغ. وتلهفها لأن تغرق في المياه الدافئة يعجبها الآن أكثر، ولكن لا زالت هناك مشكلة ماذا ستفعل بمخابرة انيتا، وأملت أن تهديها فترة من الاسترخاء إلى حلٍ ما.

وما كادت ترفع قدمها لتدخل المياه الدافئة في المغطس حتى رنّ

www.elromancia.com

جرس الهاتف.. وانزعجت لإدراكها بأنها لم تفكّر بالأمر بعد، ومالت إلى عدم الرد، ولكن شيئاً ما، ربما شعور داخلي بالولاء للفتاة التي كانت تعرفها، جعلها تمدّ يدها إلى الروب.

ووصلت إلى الهاتف في غرفة نومها في نفس اللحظة التي رفعت فيها مدبرة المنزل الهاتف في المطبخ، فقالت لها:

ـ أنا هنا سيدة باتس.

فصاحت انيتا من الطرف الآخر:

ـ هذا أنا يا جولي.

ـ أنا آسفة لعدم وجودي لتلقي مخابرتك الأولى، لقد تأخرت في الوصول. لقد تركتني سكرتيرتي باكراً وكان عليّ أن أنهي بعض الأعمال بنفسي.

ـ كم تبدين مكتفية بنفسك، المرأة المسؤولة الكاملة! كيف يبدو لك الترؤس على الناس يا جولي؟ لقد قالت لي سكرتيرتك إنك مساعدة باتريك دورلاند الآن. من الواضح أنك ناجحة تماماً في حياتك المهنية.

ـ ألأجل هذا اتصلتي بي يا انيتا؟ لتتكلمي عن عملي؟ عليّ أن أقول لك إن الحمام الساخن بانتظاري، وكومة من العقود يجب أن أراجعها بعد العشاء.

ـ اللعنة يا جولي! لا تكوني متكبرة هكذا!

وأخذت انيتا تبكي وتابعت:

ـ أنت تعرفين لماذا أتصل بك، هل فكرتي بما قلته لك، أم أن.. كل هذا الكلام عن انشغالك القصد منه القول لي إن لا وقت عندك لقبول دعوتي؟

ـ انيتا، ما الذي تريدين أن تقوليه لي، ألا يمكنك قوله الآن؟ أو

اكتبي لي رسالة، وأعدك أن أردّ عليك...

ـ لا.. لا..! لا أستطيع، أحتاج لرؤيتك يا جولي. أحتاج أن أتحدث إليك وجهاً لوجه. أما بالنسبة للتحدث معك على الهاتف...

وانخفض صوتها وهي تتابع:

ـ قد يكون هناك أحد يستمع إليّ على الهاتف.. لراوول جواسيس في كل مكان، إنه لا يثق بي.. أوه يا جولي.. أرجوك، قولي إنك ستأتين إلى هنا.. إذا.. إذا لم تأتي... فقد.. أقتل نفسي!

●●●

٢ ـ أنسى أنك امرأة!

بالطبع.. لن تقتل نفسها! وجولي تعرف هذا، أو هكذا على الأقل قالت لنفسها، بينما كانت البوينغ التابعة للخطوط البريطانية تطير بنعومة جنوباً فوق الهضاب المليئة بالثلج لجبال الألب السويسرية، على ارتفاع آلاف الأقدام، فمن يهدد عادة بالانتحار، نادراً ما ينفّذ تهديده، لقد كانت صرخة للمساعدة، وهذا كل شيء، فكل ما كانت تقصده انيتا، هو أن تجعلها توافق على طلبها.

وهي تحضّر لأخذ إجازة من وظيفتها لفترة اسبوعين، كانت تعلم أن ما تفعله هو غباء. فالوقت غير مناسب، والمكان الذي ستذهب إليه غير مناسب أيضاً، وبالتأكيد قبولها بهذه المهمة هو أمر غير مناسب أيضاً، قبل كل شيء، تعلم بالتأكيد أن راوول لن يرحب بها في قصر «دي ڤيلانو» وهي تشك في أن انيتا قد أبلغته بأنها قادمة.

ونظرت جولي إلى الغيوم التي تحجب منظر المياه الزرقاء للبحر المتوسط بعيداً تحتها، لقد أمضت يومين وهي تتحضّر للسفر، منهية كل الأمور العالقة في المكتب، وخلال ساعات الغداء تشتري ثياباً مناسبة لشهر حزيران في تلك المنطقة الشمالية الغريبة من إيطاليا

المسماة «توسكانيا».

وكانت السيدة باتس خلال هذه اليومين منشغلة جداً، تغسل وتكوي كل ما هو ضروري لجولي لتستخدمه خلال إقامتها في قصر دي ڤيلانو. وكانت جولي قد حددت شرط قبولها لدعوة انيتا بأسبوع واحد، محتفظة بالاسبوع الآخر للأمور الطارئة، فأنيتا لم تكن تملك أبداً شخصية ثابتة، ومع أن جولي كانت تشك في أنها قد بالغت في وصف الوضع، إلا أن هستيريتها على الهاتف الليلة التي سبقت سفرها لم تكن ادعاء أبداً.

من ناحية أخرى، أصرّت السيدة باتس على اعتبار سفرها رحلة استجمام، وكانت الوحيدة، عدا انيتا، التي رحّبت بهذه العطلة الاجبارية، وقالت لجولي:

ـ لقد قلت لك إنك بحاجة للراحة. اسبوع أو اثنين في إيطاليا سيمثلان تغييراً كبيراً لك، وسيخرجانك من جو المكاتب، ويضعان بعض اللون في وجهك.

ـ إنها ليست رحلة استجمام يا سيدة باتس، أنا ذاهبة لمساعدة صديقة قديمة، هذا كل شيء، وسأعود، كما آمل، في منتصف الأسبوع القادم.

ـ لا تستعجلي العودة، فلا شيء يغريك بالعودة إلى هنا، هل هناك شيء قد تكونين نسيتيه قبل أن أقفل الحقيبة؟

«سيداتي سادتي، لقد أُضيئت إشارة عدم التدخين، ويُطلب إلى الركاب التأكد من ربط أحزمتهم. وأن المقاعد في وضعها الصحيح، وأن كل السجائر قد أُطفأت، لا يُسمح بالتدخين قبل وصول الركاب إلى قاعة الوصول. سنحط في مطار بيتزا بعد بضع دقائق.. شكراً»

وابتسمت المضيفة لجولي، وهي تضع المايكروفون من يدها وأحسّت جولي بالتوتر الذي يسيطر عليها عادة عند الهبوط، ولم يكن ذلك بسبب الهبوط نفسه، فقد اعتادت عليه في رحلاتها إلى باريس وروما خلال عملها مع مؤسسة «هيلدا هايز» بل كان بسبب الاضطراب الذي تشعر به عند وصولها إلى أمكنة جديدة، وفي هذه اللحظات تشعر بتوتر مضاعف لعلمها بأنها بعد بضع ساعات ستقابل راوول مرة ثانية.

وحطّت الطائرة بهدوء، وبما أنها كانت تجلس في مقدمة الطائرة، كانت من أول الهابطين منها، ومرت عبر دائرة الجوازات دون إزعاج وأخذت حقيبتها وسارت بسرعة عبر الجمارك، وهي تنظر بتمعن لترى انيتا.

قاعة الوصول كانت مليئة بالناس المنتظرين لأصدقائهم وأقاربهم.. ولا بد أن تظهر انيتا في أي لحظة...

ـ آنسة فولروك!

الصوت الرجالي دفع أعصاب جولي إلى حافة التشنج، فعلى الرغم من أنها كانت تحضّر نفسها لهذه اللحظات منذ أن وافقت على ابتزاز انيتا لها، إلا أنها أجفلت لسماع صوت راوول الذي لا يزال يمتلك القوة التي تستطيع أن تجعل العظام تذوب. واستدارت، فوقعت الحقيبة من يدها، وواجهت الرجل الوسيم الواقف هناك.

ـ راوول... راو.. ما هذه المفاجأة! أين انيتا؟ لقد اعتقدت أنها ستأتي لتلاقيني.

ـ أنيتا مريضة.

ـ أنيتا مريضة!

وحاولت جولي التركيز على ما يقوله، وليس على الطريقة التي

يقول كلماته بها.

ـ لقد قلت إنها مريضة.

والتقط حقيبتها عن الأرض.

ـ هل هذا كل متاعك.

ـ أجل أنا آسفة لإزعاجك، لو كنت أعلم...

ـ نعم؟ ماذا كنت فعلت.؟ هل كنت ستلغين زيارتك ربما؟ أو تعطينا وقتاً أطول لتتحضّر لهذه الزيارة؟

وضغطت جولي على شفتيها وهي تلحق به، فمن الصعب الآن أن تفكر بوضوح... إلى ماذا يلمّح؟ أيلمّح إلى أنها دعت نفسها إلى قصره؟ من الواضح أنه لا يريدها هنا، وحقاً، لا تستطيع لومه.

خارج مبنى المطار، كانت شمس بعد الظهر أكثر حرارة من مثيلتها في انكلترا. فعندما غادرت مطار هيثرو، كانت ثيابها مناسبة، ولكن هنا، في ايطاليا، شعرت بالبنطلون يبعث الحرارة في جسدها، وخلعت سترتها لتكشف عن قميص حريري، وهبت ريح ناعمة، وأراحتها برودتها، حتى ولو أنها تسببت في بعثرة شعرها...

وقال لها راوول:

ـ انتظريني هنا.. سآتي بالسيارة.

ووضع الحقيبة على الأرض، وأخذ يحدّق بها، فواجهته بنظرة متعالية، غير مهتمة بالهواء الذي كان يجعل القميص الحريري يلتصق بجسدها، وبصمت سار مبتعداً.

وتوقفت السيارة أمامها، «مازاراتي» حمراء لامعة، وخرج منها راوول ليضع حقيبتها في الصندوق، وفتح لها الباب وهو يقول:

ـ ادخلي.

ولاحظت، عندما صعد راوول لينضم إليها، أنه تأكد من عدم ملامسة كتفه لها وهو يجلس وراء المقود، وتحركت السيارة دون حاجة إلى أي حديث.

ولفترة طويلة، بقيت جولي صامتة. في الواقع، تصرف راوول جعلها تنوي أن تتركه يحافظ على مزاجه السيىء طوال الطريق إلى «ڤيلانو». ولكن اهتمامها بانيتا، وإدراكها بأنها خلال سبعة أيام سوف تكون في ضيافته، أثارا فيها بعض العطف. ومع ذلك فقد انتظرت إلى أن أصبحت ضواحي المدينة خلفهما، وانطلقت السيارة على الأوتستراد العريض، عندها تكلمت:

ـ أعتقد أنك تعرف أن انيتا اتصلت بي.

ـ اتصلت بك؟ وهل تتوقعين أن أصدق هذا؟

فشهقت جولي:

ـ إنها الحقيقة، وما غير هذا يجعلني أجيء إلى هنا؟

ـ اخبريني أنت.

وشعرت جولي بالغضب. فقالت:

ـ لم أطلب منها أن تدعوني.

ـ إذاً، لماذا أتيتِ إلى هنا؟ كنت أظن أن آخر شيء قد تقبلين به هو دعوة لزيارة قصر دي ڤيلانو.

ـ أنت محق، وكنت أعلم أنك لن توافق.

ـ وهل كنت تتوقعين مني أن أوافق؟

ـ لقد أتيت لأن انيتا طلبت مني. وكنت آمل أن تقابلني هي. وأن تكون أية محادثة بيننا تجري بوجود أناس آخرين معنا. ولم أكن أعلم أنها ليست بخير، أو بأنك ستستغلّ هذه الفرصة لتفتح ملف العداوات القديمة بيننا!

ونظر إليها راوول نظرة ساخرة:

ـ كم أنت باردة آنسة فولروك! كم أنت مسيطرة على نفسك! لا أستطيع التصديق بأنني يوماً ظننتك إنسانة دافئة، مخلوق من لحم ودم! لا بد أن هذا كان ضعفاً منك، ضعف نجحت في النهاية بتدميره، سامحيني لو ذكّرتك بأوقات تفضّلين أن تنسيها.

ـ لماذا تصرّ على مناداتي بالآنسة فولروك؟ ألا تظن أن هذا أمر مؤسف؟

ـ مؤسف؟ وما هو المؤسف؟

ـ أعني.. نابع من تفكير ضيق. وإهانتي هو أمر طفولي، أليس كذلك؟

ـ وهل كنت أهينك؟ أنا آسف. أنسى دائماً أنك امرأة.

وتاقت أصابعها لأن تصفع التعبير المتعجرف على وجهه، ولكن الطريق العام ليس مكاناً مناسباً لإطلاق غضبها. وعليه أن لا يعرف بأنه يثيرها بسهولة.

ـ أنت مساعدة مدير الشركة الآن. أليس كذلك؟

وأجبرت نفسها على النظر إليه:

ـ وهل هناك شيء خاطىء بهذا؟

ـ لا.. لقد طرت عالياً منذ تلك الأيام. والطابعة المتواضعة أصبحت مساعدة مدير متفوقة، اخبريني، هل تجدين وظيفتك مرضية لك كما كنت تأملين؟

ـ تماماً.

ـ في كل المجالات؟

ـ في كل المجالات! فهناك في الحياة أكثر من مجرد محاولة التعايش مع رغبات رجل، إذا كان هذا ما تقصده. فالمرأة يجب أن

www.elromancia.com

تتعلم استخدام رأسها بنفس البراعة التي تستخدم بها جسدها.

ـ كما تفعلين أنت؟

ـ ولماذا لا؟

ـ هذا يعني أنك لست نادمة.. على أي شيء.

ـ لا.. ولماذا أندم؟ هل أنت نادم؟

ـ وماذا لديّ لأندم عليه؟ لم أعرفك أبداً.

وساد الصمت، حاولت خلاله أن تستعيد سيطرتها على نفسها، ولكن لخيبة أملها، لمست كلمات راوول الأخيرة وتراً حساساً لديها، ووجدت أن يديها ترتجفان، وساقيها ضعيفتان، لقد كانت تعتقد أن لا شيء سيقوله يمكن أن يزعجها، ولكنها كانت مخطئة.

بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً شرقي بيتزا، خرج راوول عن الطريق العام نحو طريق ريفي ضيق يقود إلى تلال «توسكانيا» وبدا من حولهما الآن الريف الايطالي، بأراضيه الخضراء، وغابات الزيتون، ومساحات شاسعة من الكرمة. التلال المغطاة بالغابات الكثيفة تشرف على وديان مليئة بالقمح الذي بدأ الآن يتحول إلى اللون الذهبي، وبينما كانت شمس المساء تشع بشكل خفيف فوق قمم الكنائس وتعكس ظلالاً على النهر، نسيت جولي هواجسها أمام سرورها لكونها هنا. وشهقت قائلة:

ـ هذا جميل!

وصعدت المازاراتي تلة صغيرة وظهرت أمامها مناظر لوادي كأنه من الحليب والعسل. فتابعت قولها:

ـ لم أكن أعرف... لم أحلم أبداً بأن يكون هذا المكان هكذا!

ـ وهل هناك فارق؟

وكأنه يحاول أن يلتقي معها في منتصف الطريق، أضاف:

ـ يقولون إن الطبيعة تتفوق على نفسها في توسكانيا. أنا أحب هذا المكان. إنه بلدي، أرضي، ارثي! ولا أستطيع التخلي عنه.

فهزت جولي رأسها ورفعت عينيها إليه:

ـ أستطيع فهم هذا، هل هذا دير هناك؟

وتبع راوول نظراتها، فوق التلة على عدة مئات من الأقدام فوقهما، كانت الجدران البيضاء لبناء قديم تقف بحدة، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة. وكانت هذه المرة الأولى التي تشاهد شيئاً قريباً من المرح يغطي ملامحه منذ أن التقيا في المطار، والفارق الذي لاحظته كان مذهلاً، فقد اختفت الخطوط الحزينة حول فمه، واختفت أيضاً تجاعيد العبوس بين عينيه، وانفراج شفتيه كشف عن أسنان بيضاء قوية، وقال:

ـ أجل.. كان ديراً.

ثم أعاد انتباهه إلى الطريق ثانية، وهو يدخل بالسيارة بين سلسلة من المنعطفات الحادة المؤدية إلى قرية «سانتو جيستينو» وتابع:

ـ إنه فندق الآن. صغير وبسيط. إنه حقيقي، ولكنه قادر فقط على استيعاب دزينة من الناس فقط.

وقالت جولي، وهي تتابع النظر إلى الفندق من وراء كتفها:

ـ أود أن أقيم هناك. لا بد أن المناظر من هناك عظيمة.

ـ أتصور أنها كذلك.

ودخلت السيارة زقاقاً ضيقاً يقود إلى ساحة القرية، ونظر إلى ساعته:

ـ لا بد أنك عطشة. سنتوقف هنا لنشرب شيئاً قبل متابعة رحلتنا.

ودهشت جولي، وسألت..

ـ هل لا تزال رحلتنا بعيدة؟

وأوقف راوول الميزاراتي إلى جانب الطريق في فسحة مخصّصة لوقوف السيارات. وأجابها دون اهتمام، وهو يفتح بابه:

- ربما أربعون كيلومتراً بعد. تعالي، لنشرب شيئاً في المقهى.

وخرجت جولي من السيارة مترددة قليلا، أربعون كيلومتر. إنها مسافة طويلة، أليس من الأسهل لو تابع الطريق رأساً إلى القصر؟

بعدما قاله لها لا تستطيع التصديق بأنه يرغب في إطالة هذه الرحلة معها.

ولكن الأوان فات الآن للهواجس، فقد كان راوول يقفل باب السيارة..

«سانتو جيستينو» قرية صغيرة جميلة، يزيد في جمالها المباني القديمة الملونة على طرفي شارعها الرئيسي الضيق. كانت قرية قديمة، والمحلات والبيوت متلاصقة مع بعضها، وفيها كنيسة صغيرة جميلة مزينة بالزهور، وقال راوول شارحاً:

- إن موعد «الكارنفال» غداً، سيكون هناك عرض للعربات، واحتفال للألعاب النارية احتفالاً بعيد «سانتو جينارو» الذي يقع عادة في شهر كانون الثاني، ولكن من يستطيع الاحتفال به تحت الثلج على التلال والهواء البارد يعصف من جبال الألب؟

وابتسمت جولي له، لم تتمالك نفسها. ولبرهة وجيزة شاركها راوول المرح، ثم وكأن حاجزاً قد انتصب بينهما، ابتعد عنها، مشيراً إليها كي تجلس بينما ذهب ليحضر الشراب.

وشربا العصير مع الصودا، جالسان حول طاولة صغيرة يغطيها قماش مقلم بالأبيض والأزرق، ومع تقدم المساء ظهر العديد من الناس يتنزهون ويدخلون المحلات، أو ينضمون إليهما في المقهى على الطاولات الأخرى للتحدث وتناول الشراب، ولكن جولي،

وسط هذا الجو الهادىء الراقي، لم تكن تشعر بالهدوء، بل كانت تشعر فقط بانشغال بال راوول، وعلمها أنه لا يمكن أن يرتاح في وجودها، وقالت له:

- هل يمكن.. هل يمكن لنا أن نمضي قليلاً من الوقت في الكنيسة أنا أحب الكنائس القديمة، وهذه قديمة جداً، أليس كذلك... كاتدرائية دو سانتو جيستينو.. لقد قرأت الاسم على اللوحة هناك.. أرجوك، أحب أن أشاهدها من الداخل.

وأعاد راوول النظر إلى ساعته، ونهض من مكانه قائلاً:

- إذا كنت ترغبين في هذا...

وتنفست جولي عميقاً، ورافقته صاعدة الدرجات الأربعة الحجرية التي توصل إلى المدخل المضاء بالشموع للكاتدرائية الصغيرة.

لم تكن تشبه أية كاتدرائية شاهدتها جولي من قبل. حجمها يتحدى كل نظام هندسي، ولكن جوها كان مليئاً بكل إيمان الأجيال المؤمنة التي عبدت ربها هناك.

ولاحظت أن راوول دخل المكان بخشوع، ومدّ يده إلى الماء المقدس وبدأ صلاة صامتة، وبما أنها لم تتربى في جو متدين، حسدته على إيمانه، وأحنت رأسها باحترام وهي تتجول في الممر بين المقاعد.

وكان المذبح مضاء بشمعتين طويلتين، وعلى أحد الجوانب ينتصب تمثال للعذراء وابنها، وأمامه عدة شمعات تنتظر الاستعمال، وقال لها راوول وهو يقف خلفها:

- إضاءة شمعة على نية شخص تحبينه هو فعل إيمان.

وتقدم أمامها ليضع بضع قطع نقود في صندوق التبرعات:

- ولكن الإيمان شيء لا تعرفين عنه الكثير. أليس كذلك يا جولي؟

واستدارت بسرعة لتنظر إليه. . كان قريباً جداً منها، ياقة قميصه الكريم، كانت مفتوحة قليلاً، واشتمت رائحة عطره القوي، كانت رائحة مثيرة لها. فقالت له:

- آخر مرة رأيتك فيها كنت في الكنيسة، هل كنت تعرف هذا الأمر؟

- وهل ذهبت يومها إلى الكنيسة.؟ لماذا؟

- لقد كنت مدعوة. . ألا تذكر؟

- ولكنك قلتِ إنك لن تحضري.

- غيرت رأيي، وهذا أمر تتميز به المرأة.

- كان يمكن أن تكوني عروساً جميلة. . طويلة ونحيلة. . وشقراء.

وعلى ضوء الشموع، لاحظت وجهه وقد امتلأ بالمشاعر، ولأنها كانت ترتدي حذاء عالي الكعبين، كانت عيناهما على نفس المستوى. وعلى كره منه كما يبدو، رفع يده ليمررها على خدها، وفي الجو العابق بالبخور، شعرت جولي بأن حواسها قد تخدرت. . .

- هل هذه من ذهب يا أبتي!. . .

صوت يافع لطفل، يرتدي ثياب الرهبنة يتحدث إلى رجل عجوز يرتدي أيضاً ثوب الكهنوت، كسر جو السحر من حولهما. ففي لحظة كانت يد راوول تمر على وجهها وأصابعه الباردة السمراء حساسة جداً على بشرتها الدافئة، وعيناه السوداوان تتجولان فوق وجهها، وفي اللحظة التي تلت ابتعد عنها وبدأ يسير في الممر

المؤدي إلى خارج الكنيسة. وساقاه الطويلتان تباعدان المسافة عنها. وكأنما يحاول بهذا أن يخرجها من حياته.

ولحقت جولي به ببطء. وتوقفت قليلاً كي تشعل شمعة وأعادتها إلى مكانها. وأحنت رأسها باحترام للكاهن العجوز، الذي كان يراقب خروج راوول بحيرة ظاهرة.

- فليحفظك الله يا سنيورا. .

وأشار إليها مباركاً، وأحنت له رأسها باحترام ثم خرجت لتواجه نور الشمس الغاربة لهذه الأمسية. . .

●●●

٣ ـ ماذا يخبىء النهار؟

كانت غرفة جولي، في القصر، تشرف على طرف الوادي، والمرتفعات المشجرة من حوله، لم تكن الغرفة تشرف على مناظر أكثر جمالاً من الغرف الأخرى، ولم تكن كذلك كبيرة، ولكن جولي ارتاحت لرؤيتها، فلم تهتم كثيراً لحجمها أو موقعها.

عندما استيقظت في اليوم التالي كان يسيطر عليها شعور بالغرابة، وبقيت في الفراش وهي تتمنى لو أنها لم تستيقظ فتوقع ما يخبئه النهار لها ملأها بالقلق.

في الليلة التي سبقت، وصلا إلى القصر في وقت كانت فيه ظلال المساء قد أضفت شكلاً ضبابياً على المناظر الريفية المحيطة آخر جزء من الرحلة كان شاقاً، ليس بسبب صمت راوول المضجر فقط، بل لأن آخر بضعة أميال من الطريق كانت منعطفات حادة تتصاعد في التلال عبر المناظر الطبيعية، ومع ذلك كانت تثير الغيظ وتوتر الأعصاب. ربما، لو أن راوول كان يقود السيارة بعدوانية أقل، وعناية أكثر، لما كانت جولي قد شعرت برأسها يدور عندما وصلا إلى قرية «فاغيو سوراڤينو». ولكن هذا ما جرى.

وكان قصر «دي ڤيلانو» على بعد نصف ميل من القرية. عند قمة طريق ملتوية، لا بد أن تكون صعبة خلال الشتاء، وكان قصراً، كما اكتشفت بذهول، يتشبث في الجبل بنفس الطريقة التي كان عليها الدير الذي أُعجبت به في وقت سابق. كانت تظن أن اسم قصر «كاستيلو» ما هو إلا لقب مضخم لڤيلا كبيرة، ولكنها اكتشفت أن أسلاف راوول بنوا القصر منذ مئات السنين، وصدمها هذا. فهو لم يكن يتفاخر بأسلافه، حتى أنه لم يذكر أبداً أن عائلة دي ڤيلانو قد عاشت في هذا الجزء من ايطاليا لأكثر من ثمانمائة عام، ولكن انيتا روت لها تاريخ القصر دون اكتراث وهي تعرض عليها الغرف، وتجيب على أسئلتها دون حماس، وبدا أنها تجد الموضوع مضجراً.

عندما وصلا في الليلة السابقة، كان راوول قد أمضى المسافة ما بين «سانتو جستينو» والقصر دون أن يتكلم، ثم توقف عند الباب لينظر إلى جولي نظرة متفرسة قبل أن يفتح الباب لها، قائلاً:

ـ يبدو أن زوجتي قد استعادت عافيتها. ستجدين أنها دائما تُصاب بهذه النوبات. ولكن لا تقلقي، إنها ليست مريضة كما تبدو.

ـ ولكن...

ولكن راوول لم يكن يصغي إليها، فقد خرج من السيارة، ووصلت انيتا في هذه اللحظة إليهما وهي تقول:

ـ لقد تأخرتما، لقد انتظرتكما كثيراً. هل تأخرت طائرة جولي؟

ـ لا.. لقد وصلت في الوقت المحدد، ووصلنا في أسرع وقت ممكن. على كل، لم يكن بإمكاني أن أتخلص من زحمة السير على الطرقات!

ـ لا تكن فظاً، ماذا ستظن بنا جولي؟

وعانقته مرحبة به، ولكنه دفعها عنه بلطف، فتراجعت عنه وهي تبتسم. ودون أن يعيد النظر إليها، سار مبتعداً عبر الفناء الخارجي للقصر، واختفى داخل المدخل.

ولم تستطع جولي أن تستنتج شيئاً واضحاً من ما سمعته ورأته، وحاولت أن تتصرف بشكل طبيعي. فالتفتت إلى مؤخرة السيارة لتفتح الصندوق، ولكن انيتا استدركت متذكرة اللياقات وأسرعت إليها لتحضنها، وقالت:

ـ أنا آسفة.. أوه يا جولي... لن تعرفي كم أشعر بالسعادة لرؤيتك ثانية! أرجو أن تسامحيني لتصرفي دون تفكير، ولكن راوول يمكن أن يكون قاسياً في بعض الأوقات.

ـ لا بأس.. سعيدة برؤيتك أيضاً يا انيتا.

وتراجعت جولي عنها، وتذكرت فوراً كيف تجعلها أنيتا تشعر. لقد تغيرت قليلاً، كانت جولي دائماً تعتقد أن راوول لم يختر انيتا أبداً، فقد كانت بعيدة عن ذوقه؛ ولكن كان لديها طموح بالحصول على زواج ناجح، وفعلت المستحيل كي تجذب انتباهه قبل أن تظهر جولي في حياتهما.

وقالت انيتا:

ـ اتركي حقائبك حيث هي. جوليانو سوف يحضرها. لا بد أنك جائعة. سنتناول العشاء فوراً، ثم سأقودك إلى غرفتك.

بعد هذه الرحلة، كانت جولي تفضّل أن تذهب رأساً إلى غرفتها، ثم تغتسل وتغيّر ثيابها، ولكن كضيفة على انيتا، شعرت بأنها ملزمة بتنفيذ ما ترغب به.

داخل القصر، كان الجو بارداً داخل الجدران السميكة. في

الخارج كانت الأمسية رطبة، ولكن في الداخل كان هناك تبريد بدون كهرباء يبقي الجو منعشاً. وقالت جولي:

ـ أعتقد أن المكان بارد في الشتاء.

وأجابت انيتا وهي تسير أمامها في الردهة الرخامية:

ـ ولكنه ليس كذلك. في الواقع، إنه دافىء جداً، مع أنني أعترف أنني أفضّل الشقّة التي نملكها في روما.

ـ الشقة؟

ونظرت إليها جولي بدهشة.. وكان أمامهما سلم رخامي مستدير على شكل نصف دائري، يرتفع السقف من فوقه على شكل قبة.

ـ طبعاً الشقة! ألم تعرفي أن راوول لديه شقة في روما؟ ولديه منزل في فلورنسا أيضاً. وقصر في فينيسيا. إنه رجل ثري، يا جولي، وبالتأكيد تعرفين هذا.

ـ أعرف، ولكنك تعيشين هنا.

ـ معظم الأوقات، لسوء الحظ. راوول يصرّ أن يكون بالقرب من كرومه. معظم مزاعي الكرمة يتركون رعايتها لوكلائهم، ولكن راوول لا يفعل هذا!

وشدت حبلاً مخملياً يتدلى قرب المدفأة، وفي لحظات بدت امرأة ترتدي ثوباً أسوداً، فقالت لها انيتا:

ـ سنتناول العشاء الآن يا مارغو. هل تبلّغين السنيور بأننا ننتظره؟

ـ ولكن السيد خرج يا سنيورا.

والتفتت جولي من عند النافذة، لترى نظرة الغضب التي علت وجه انيتا، التي صاحت بالمرأة:

ـ تكلمي الانكليزية، ألا تستطيعين؟ أين هو؟ أين ذهب؟ إنه يعلم أننا على وشك العشاء؟

ـ الكونت. . . . السنيور. . لقد ذهب إلى. . . إلى معصرة العنب.

ـ أوه. . . احضري العشاء إذاً!

وأمسكت بالابريق الذي أدخلته المرأة وصبت بعض العصير ثم صاحت:

ـ أسرعي يا مارغو!

ـ سي سنيورا.

وتراجعت جولي قليلاً، فقالت انيتا:

ـ أعتقد أنك تظنين بأنني قاسية معها. هذه المرأة غبية!

كان عليها أن تقول فوراً أين ذهب راوول.

ـ وأين. . . ذهب؟

ـ لقد ذهب إلى المعصرة. لقد قلت لك، راوول يهتم بعنبه أكثر مما يهتم بـ. . . بأي شيء. اجلسي، ألا يمكنك هذا؟ لسنا هنا في احتفال.

كان الطعام لذيذاً ومتنوعاً، ولكن جولي لم تستمتع به، فلم يكن يعجبها ما يجري هنا. إنها لا تهتم بالطريقة التي تعامل بها انيتا الخدم، ولا تستطيع فهم مزاجها الذي كان يتراوح بين لمسة من اللطف، وبين قلة الصبر الانفعالية. في لحظة تبدو مقهورة وتحتاج للمساعدة، وتثير عطف جولي عندما تتحدث عن الوحدة التي تقاسيها هنا، على بعد أميال من عائلتها وأصدقائها.

تقول إنها بالكاد تفهم اللغة، ومع أن معظم الخدم يتكلمون الانكليزية فإنهم يلجأون إلى لغتهم عندما تقترب منهم.

ومع ذلك، وعلى عكس الانطباع بأنها امرأة مقهورة، فقد ثارت عندما اقترحت عليها جولي أن تتحدث إلى راوول لتشرح له الوضع

وتحاول أن تجعله يفهم مشكلتها، وصرفت النظر عن ما قالته جولي، بكلمات هستيرية، معلنة أن راوول لن يتكلم معها في الموضوع، وأنه لا يفهمها، وأن هناك أوقاتاً تتمنى فيها أن تموت.

وخرجت جولي من سريرها، وسارعت عارية القدمين فوق السجاد وتطلعت عبر زجاج النافذة. وعندما فتحتها، وجدت أمامها يوماً مشمساً آخر، واستطاعت أن تشم رائحة العشب، كان الوقت لا يزال باكراً، الثامنة تقريباً. ولكن أصوات وقع حوافر جواد في الخارج استرعى انتباهها، فابعدت نظرها عن النهر لتحدق بدهشة. راوول، ورجل آخر، كانا يقودان جوادين إلى خارج الباحة الخارجية نحو التلال، وتراجعت جولي مبتعدة عن الأنظار، خشية أن يظن بأنها تتجسس عليه.

ليلة أمس لم يكن قد عاد عندما أوصلتها انيتا إلى غرفتها. ولكنه الآن هنا، وإذا صدقت صديقتها، فهو سبب تعاستها. وهو خارج باكراً في الصباح وكل مظاهر السعادة بادية عليه.

وابتعدت جولي عن النافذة، وأزاحت شعرها إلى الخلف بيد مرتجفة، لقد عادت إلى هنا لا لتستعيد ذكريات قديمة، بل لأن انيتا توسلت إليها، وكلما أسرعت في تحقيق الهدف من هذه الزيارة كان ذلك أفضل.

ودخلت إلى الحمام، الذي كان مثل غرفتها يحتوي أقل ما يمكن من الأثاث. وكانت قد استحمت في الليلة السابقة، لذا اكتفت بغسل نفسها بمياه دافئة قبل أن تعود إلى غرفة النوم.

جوليانو، كائناً من يكون، كان قد أوصل حقيبتها إلى الغرفة، وسألت نفسها وهي تخرج الثياب منها ما إذا كانت تستطيع أن تجد طريقها إلى الطابق الأرضي ثانية.

داخل جدران القصر، لم تكن الأصوات تُسمع كثيراً، أو ربما يكون السبب أنها قريبة من السكان الآخرين. ونزلت السلم إلى الطابق الأول. ووصلت إلى ممر متشعب، ولم تعرف في أي طريق ستذهب.

واختارت جهة اليسار، وسارت في هذا الاتجاه إلى أن وصلت إلى الممرات المحيطة بالطابق الأرضي عند أعلى السلم. ومررت أصابعها على الرخام البارد لدرابزين السلم، وهبطت إلى الردهة.

وتناهى إليها صوت شخص يغني، في إحدى الغرف على يمينها، وما إن وصلت إلى الأسفل حتى ظهرت فتاة، تحمل كومة من الشراشف.

- بون جورنو سنيوريتا.

قالت الفتاة هذا بأدب وحاولت أن تتجاوزها لتصعد السلم، ولكن جولي مدّت يدها لتوقفها قائلة:

- بونجورنو...

ولكي لا تظن الفتاة بأنها تعرف اللغة، أردفت بالانكليزية:

- هل أنا مبكرة جداً لتناول الإفطار؟

- الإفطار سنيورا؟ أوه.. لا سنيورا، السنورا لا تتناول الإفطار.

- أوه؟

وبدا على جولي أنها لم تفهم، والتفتت بارتياح عندما سمعت صوتاً آخراً يتدخل.

- إنها تعني أن السنيورا لا تتناول الإفطار عادة. فالسنيورا دي ڤيلانو قد نسيت العادة الانكليزية بتناول اللحم والبيض.

وظهر شاب من خلف السلم، وهو يقول هذا، فضحكت جولي بارتياح:

- أوه لا! وأنا أيضاً لا آكل اللحم والبيض.

وشعرت بعينيه السوداوين تتفحصانها وهي تتكلم، واعترفت لنفسها بأنه وسيم الملامح.

- كنت أتساءل فقط إذا كان بإمكاني الحصول على بعض القهوة، إذا لم يكن هذا مصدر إزعاج.

- لا إزعاج أبداً.. اذهبي في طريقك يا ايما..

- سي سنيور.. سنيورا..

وأسرعت الفتاة صاعدة السلم، ولاحظت جولي أنها كانت تنظر من وقت لآخر إلى الشاب. من الواضح أن له سلطة على الخدم، ولكن تصرفات الفتاة نحوه لم تكن تصرفات خجولة.

وكأنه عرف ما تفكر به فقال:

- اسمحي لي بتقديم نفسي: أنا بيدرو كازولي، أنا السائق. سائق الكونت.

سائقه! هل هذا ينطبق عليه، يبدو على بيدرو كازولي الثقة بالنفس والتفاؤل بالموهبة!

- حسناً، أنا شاكرة لك سنيور كازولي، أخشى أن تكون كلماتي الإيطالية مقتصرة على بعض التعبيرات فقط.

- ولكن لهجتك بها جيدة. من المؤسف أن لا تتكلمي لغتنا. هناك كلمات أحب أن أعلّمك إياها، لأسمعها من فمك.

وضحكت جولي، ربما ليس من اللائق الاختلاط بالموظفين هنا، ولكنها شعرت بالراحة للتحدث مع شخص لا يمثل أي خطر على استقلاليتها.

- هل تعمل هنا منذ زمن طويل سنيور كازولي؟

- لقد وظفني الكونت منذ سنتين سنيوريتا. واسمي بيدرو.

- بيدرو.. فهمت... حسناً يا بيدرو أتظن أن من الممكن أن أحصل على فنجان قهوة؟

- بالتأكيد.

وأشار إليها وهو ينحني نحو غرفة الطعام، واختفى متجهاً إلى المطبخ، ولدهشتها، جلب لها الإفطار بنفسه، بعد عشر دقائق على صينية تحتوي على ابريق قهوة، مع الحليب والسكر. وطبق من الكرواسان ووعاء مربى التوت البري، وقليل من الزبدة، وقال دون اهتمام:

- مارغو مشغولة.. تفضلي.. الكرواسان طازج من الفرن.

وهزت جولي رأسها:

- شكراً لك.

- بكل سرور.

- أتمنى أن تنضم إليّ..

- للأسف هذا غير ممكن، ولكن بعد أن تأكلي، سأكون سعيداً بمرافقتك لرؤية بعض نواحي القصر. إذا رغبتي...

- ولكن سنيورا دي ڤيلانو...

- سنيورا دي ڤيلانو لا تستيقظ عادة قبل الظهر سنيوريتا. سأعود بعد ربع ساعة، وستبلغيني بقرارك عندها.

القهوة كانت ثقيلة، والكرواسان، كما قال بيدرو، ساخنة من الفرن رأساً، وبالوقت الذي عاد فيه بيدرو كانت قد أكلت ثلاثة منها، وابتسم لها وهي تمسح فمها بالمنديل.

- هل أنت جاهزة؟

- إذا كنت متأكداً أن السنيورا دي ڤيلانو لا تستيقظ باكراً...

- سوف تكتشفين هذا بنفسك.. تعالي من هنا، سأريك

الحدائق أولاً.

وخرجا نحو الفناء الخارجي. في ضوء النهار، والشمس تشع على زجاجه اللماع، بدا القصر مختلفاً تماماً عما تخيلته في الليلة السابقة، أو ربما كان السبب أن الجو في هذا اليوم لم يكن متوتراً بخلاف الذي جرى بين راوول وزوجته.

وتطلعت جولي من حولها باهتمام ودون ارتباك.

وقال لها بيدرو:

- القصر من الداخل كان حطاماً عندما ورثه والد الكونت. فقد كان مهجوراً خلال العديد من السنوات. بسبب الحرب... الكونت العجوز صرف ثروة لإعادته إلى سابق عهده كمنزل للعائلة، والكونت الحالي ولد هنا، وكذلك ابنه.

- ابنه؟ أعني.. أنني لم أكن أعرف أن راوول.. الكونت له ولد.

- ليس لديه ولد، لقد وُلد باكراً عن موعده، ومات عندما أخرجه الطبيب من بطن أمه.

وحدقت جولي بالأرض المرصوفة بالحجارة. لم تكن تعرف هذا، ولكن لماذا عليها أن تعرف؟ فحتى اليوم الذي اتصلت بها انيتا لم تكن تعرف شيئاً عن حياتها في ايطاليا، وتابع بيدرو:

- كان الأمر مؤسفاً... انظري، عبر هذا الرواق توجد الاسطبلات.. هل تركبين الخيل يا سنيوريتا؟

- ماذا؟ أوه.. أجل قليلاً.. لقد تعلّمنا الركوب في المدرسة.

ولكن مضت سنوات...

- الإنسان لا ينسى، كما أعتقد، ستبدين فارسة رائعة، ظهرك مستقيم وساقاك طويلتان، على عكس السنيورا. إنها لا تجيد ركوب

www.elromancia.com

الخيل، إنها صغيرة الجسم كي تسيطر على جواد.

ـ أنت خبير كما أعتقد.

ـ خبير بالخيل.؟ لا للأسف. الكونت يهتم كثيراً بخيوله.

تعالي سأريك آخر ما لدينا منها.

وتبعته نحو الاسطبل، وأعجبها المهرة وابنها اللذان أراها إياهما.

ـ هذه سيلفر، والصغير يدعى غولدن. انظري كم هو قوي.

إنه فحل الكونت... إنه... كيف أقول؟ لقد تبناه.

ـ تعني أنه ولّده.

ولم تقاوم رغبة في لمس جسم المهر اللماع، فقال بيدرو:

ـ أجل.. لقد ولّد الصغير بنفسه. إن لديه نسلاً جيداً.

واستدارت جولي لتخرج من الاسطبل. وربتت وهي تخرج أنف حصان آخر كان يخرج رأسه من حجرته.

ـ هل ستريني الحدائق الآن؟

ـ هل أحرجتك؟

ـ لا.. لم تحرجني.. هل كنت تحاول إحراجي؟

فضحك بيدرو وقال:

ـ ربما.. أنت تثيرين فضولي سنيوريتا. أعرف بأنك صديقة للسنيورا، ولكن يبدو أنك تعرفين الكونت جيداً. وهذا أمر غير عادي.

ـ ولماذا؟ لقد عرفت أنيتا منذ سنوات.. قبل أن تتزوج من الكونت.

خلف الاسطبلات، كان هناك ممر مقنطر في الجدار يوصل إلى حدائق على شكل جلول. وشق جانب التل ليشكل جلاً لزرع

الزهور والخضراوات، وعبقت رائحة الورود في الهواء. وهناك شتلات من السرو إلى جانب جدار حجري مغطى بالأعشاب المتسلقة ويمتد أمامها مرجة خضراء من العشب المعتنى به جيداً، وعدة درجات حجرية منخفضة تقود نزولاً إلى ممر يختفي بين الأشجار.

ـ تستطيعين رؤية «مونتيرافينو» من هنا.

واستدارت لتنظر حيث أشار، فشاهدت أنيتا تراقبهما من الباب المقنطر، وشعرت على الفور بمدى قربها من بيدرو، فتراجعت خطوة إلى الوراء وقالت:

ـ ظننت أنك قلت إن السنيورا دي ڤيلانو لا تستيقظ باكراً.

ونظر بيدرو إلى الخلف من فوق كتفه وقال:

ـ إنها عادة لا تستيقظ باكراً.

وهزت جولي رأسها وتركته واقفاً هناك، وسارت بسرعة تصعد الدرجات، ثم الممر الحجري إلى حيث تقف انيتا.

ـ صباح الخير.. كنت أظن أنك لا تستيقظين باكراً، ألا تمانعين في أن يريني بيدرو المكان؟

كان من الصعب قراءة تعبيرات وجه انيتا، ولكن انزعاجها بدا واضحاً من الطريقة التي تكلمت بها:

ـ كان عليك انتظاري يا جولي. أم أن الإغراء كان أقوى منك؟ أنت بالتأكيد لا تضيعين وقتك، أليس كذلك؟

واستغربت جولي هذا الكلام وغضبت.

ـ عفواً...!

ولكن كلامها توقف لوصول بيدرو الذي وقف خلفها تماماً. وقال محيياً أنيتا:

www.elromancia.com

- بون جورنو سنيورا! هذه مفاجأة!

ولمعت عينا انيتا بالغضب:

- أين كنت؟

- أين كنت؟ ولماذا؟ لقد كنت أسلي صديقتك الجميلة سنيورا. وأعرف أنك تحبين أن أفعل هذا، فأنت لا ترغبين أن تبقى وحيدة.

وصرّت انيتا على أسنانها:

- ولماذا؟

وأدركت أن جولي تراقب تبادل هذا الحديث بدهشة، فغيّرت كلامها بسرعة إلى الانكليزية..

- تعالي يا جولي.. لقد حضّرت لنا مارغو عصير ليمون طازج، لنصعد إلى غرفتي..

ونظرت نظرة ازدراء إلى بيدرو ثم تابعت:

- نستطيع التحدث على انفراد هناك.

وتبعتها جولي في الممر، ومرتا قرب الاسطبلات ثم إلى الفناء وصولاً إلى داخل المنزل. وتبعهما بيدرو حتى الكاراج، ثم رفع يده مودعاً بصمت، ولاحظت جولي تحيته الساخرة، وتساءلت، بقلق، لماذا تشعر بأن انيتا تغار...

●●●

٤ - من يوقظ الماضي؟

لم تكن جودي ترغب بزيارة الغرف التي يتشارك راوول وانيتا فيها. ولكنها لم تستطع الرفض دون إثارة الشكوك.

الغرف الرئيسية في القصر كانت قريبة من السلم. وتبعت جولي انيتا إلى غرفة جلوس ضخمة زرقاء مذهبة، فيها باب فوقه قنطرة يقود إلى غرفة نوم يحتل سرير ضخم وسطها.

وأشارت انيتا إلى كرسيين «ريجنسي» وقالت:

- اجلسي هنا.

ولكن جولي تحركت نحو النافذة، وجلست على مقعد قربها، وحاولت انيتا الاعتراض، إلا أن دخول إحدى الخادمات تحمل صينية منعها، فقالت تأمر الخادمة:

- ضعيها هناك... شكراً.

وأغلقت الخادمة الباب، ومدّت انيتا يدها وصبّت كوباً من الليمون، ثم رفعت الكرب وأعطته لجولي التي قالت:

- القليل منه فقط، شكراً لك.

وأخذت الكوب من انيتا وأشارت إلى كرسي قريب.

www.elromancia.com

- لماذا لا تجلسين هنا؟ إنه منظر رائع.
- وهل تظنين هذا؟ المكان هنا يتلف أعصابي.
- ولكن لماذا؟ لا يبدو وكأنه مكان بدائي على كل الأحوال.
- أليس كذلك؟ هل لديك فكرة عن سماكة جدرانه؟
- وهل الأمر مهم؟
- إنه مهم لي.

وابتلعت انيتا الليموناضة دفعة واحدة، ثم وقفت وتوجهت إلى غرفة نومها وعادت تحمل قدحاً صغيراً فيه شراب أصفر، وراقبتها جولي وهي تضع المشروب في كوب الليموناضة، فقالت:

- لا تنظري إليّ هكذا... لقد دفعني راوول إلى هذا، وكنت سأجنّ لو لم يكن بيدرو يحضر لي هذا المشروب.

بيدرو! ألهذا كان الجو مكهرباً بوجود انيتا!

وعادت أنيتا إلى مقعدها، وارتشفت جرعة كبيرة من المشروب.

- على كل.. أنت لم تأتِ إلى هنا لمناقشة عادة الشرب عندي، أليس كذلك؟ أنا لست سكيرة، أو أي شيء كهذا. هناك أوقات فقط...

ولم تكمل كلامها، فهزت جولي رأسها وقالت:

- الساعة لا تزال الحادية عشر صباحاً يا أنيتا، أتظنين من الحكمة أن تخاطري بصحتك...
- صحتي! وما دخل صحتي بكل هذا؟ أنا صحيحة بما فيه الكفاية. إنه راوول! إنه الملام. إنها غلطته التي أوصلتني إلى هذه الدرجة.
- اهدأي! أنا لا أنتقدك يا انيتا. فقط لا أستطيع فهم أي شيء.
- وكيف بإمكانك أن تفهمي. فأنت لم يكن يهمك إذا كنت ميتة

أم حية في السنوات الخمس الماضية!

- هذا ليس صحيحاً. انيتا أنت تعرفين جيداً، كما أعرف أنا، أن راوول.. كان من السهل علينا أن نفترق، فلم يكن بيننا شيء مشترك، ويبدو أنك مقتنعة الآن كفاية.
- لقد كنت مقتنعة...
- إذاً... ما الخطب؟
- لا شيء، وكل شيء، أوه يا جولي.. ليس عندك فكرة...
- هل سيكون أسهل عليك أن تقولي كل شيء لو أنني قلت لك إن بيدرو أخبرني عن الطفل؟
- وهل فعل هذا؟ ماذا قال لك؟
- قال إن الطفل مات.
- لم يمت، كان ميتاً. كان ميتاً قبل أن يخرجوه مني!
- أعلم.. ولكن.. سوف تحصلين على غيره.
- لا.. لن أحصل على غيره. راوول لا يريد. إنه يلومني على فقدان الطفل. ويرفض أن يعيد النظر برفضه أن أحمل بطفل آخر!
- لا! لا، لا بد أنك مخطئة!
- لست مخطئة. لقد قال لي هذا، أنت تعرفين كم أريد أن أحصل على طفل. أتذكرين عندما كنا في المدرسة وكنت تتحدثين عن مهنة لك؟ كل ما كنت أريده يومها أن أتزوج وأرزق بالأطفال.
- ولكن، هل تحدثتي مع راوول بالأمر؟ لا يمكن أن يكون يعاقبك على ما حدث. فهذه الأمور تحدث دائماً. وقد تحدث لأي إنسان.
- أتظنين أنني لا أعرف هذا؟ هل تعرفين الآن لماذا أنا تعيسة هنا؟ أفهمت الآن لماذا كان عليّ التحدث إليك؟

ـ هل ذكرت هذا الأمر لأحد آخر؟

ـ من؟

ـ حسناً... طبيبك؟

ـ دكتور سيزانو؟ إنه طبيب راوول.. وليس طبيبي..

ـ ولكن في روما.. لا بد أن هناك طبيب في روما يمكن لك أن تستشيريه؟

وهزت أنيتا رأسها:

ـ ماذا أستطيع أن أقول له؟ هل أقول إن زوجي يلومني لموت الطفل؟ وإنه يرفض أن أحمل من جديد؟ هل تستطيعين أن تقولي هذا لغريب؟

ورفعت جولي كتفيها بيأس:

ـ ولكنني لا أفهم ماذا تستطيعين فعله غير هذا؟

ـ الا تعرفين؟

ومسحت انيتا أنفها بالمنديل وتقدمت من جولي بخجل. وجلست على حافة كرسيها، ومدّت يدها لتمسك بإحدى يديها، ولم تستطيع جولي أن تسحب يدها. وقالت انيتا:

ـ لماذا تعتقدين بأنني طلبت قدومك إلى هنا يا جولي؟ ليس لي أحد غيرك. لا أستطيع إخبار أمي.. ستموت من الخجل. ووالدي، قد يغضب قليلاً، ولكنه لن يقف ضد راوول في أي شيء. إنه يحترمه كثيراً و...

ـ توقفي لحظة! أظن أنني لا أفهم ما تقولينه يا انيتا.

ـ بالطبع تفهمين. أنا دائماً أرتاح للحديث معك.

ـ نتحدث؟ ألهذا جئتِ بي إلى هنا؟

ـ بالطبع، للتحدث معي، ثم التحدث إلى راوول...

ـ لا!

ـ أنت الوحيدة التي يمكن أن يستمع إليها.

ـ لا! انيتا، أنت لا تدركين ماذا تقولين.

ـ جولي.. جولي..

وأصبحت انيتا الآن هادئة، وأخذت تشرح وجهة نظرها بشكل منطقي!

ـ لا تنزعجي.. أنا لا أطلب منك الكثير. أنت الوحيدة التي تعرف راوول جيداً، الوحيدة التي عندها فرصة في أن تقنعه. ألا تفهمين؟ هذا أقل ما يمكنك فعله لي.

ـ الأقل؟

ـ بالطبع.. كلانا يعرف أنه لولاك لما تزوجني راوول.

ـ أنا... لا شأن لي بالموضوع.

ـ بل لك شأن فلولا تصميمك على أن تحصلي على مستقبل مهني لكنت الآن مكاني.

وتورد وجه جولي.

ـ لا شأن لهذا بذاك.

ـ لا شأن له؟ وماذا لو قلت لك إن راوول ليلة زفافنا ناداني باسم جولي؟

ووقفت جولي عن المقعد، غير قادرة على الاستقرار مكانها أمام اتهام انيتا.

ـ لا زلت، لا أفهم ماذا باستطاعتي أن أفعل؟

ـ تستطيعين التحدث إليه. أن تقنعيه.

ـ لا أستطيع!...

ـ ولماذا لا تستطيعين؟

ـ لن يستمع إليّ.

ـ ولكنه قد يستمع، إذا قلت له كم أنا يائسة. لن تفهمي كيف أمضي حياتي يا جولي... أريد طفلاً، طفل راوول، بالتأكيد تستطيعين فهم هذا.

ـ لو أنك انتظرت قليلاً...

ـ أنتظر؟ لقد انتظرت طويلاً.. لقد توفي الطفل منذ ثلاث سنوات، وانتظرت، ولن أستطيع الانتظار أكثر.

ورفعت جولي عينيها إلى السقف. لقد كانت تتوقع هذا، كان يجب أن تعرف أن انيتا لا يمكن أن تتصل بها بعد كل هذه السنوات دون سبب وجيه. ولكن كيف كان يمكن أن تعرف دوافع انيتا في الطلب منها أن تأتي إلى «كاستللو دي ڤيلانو».

وتأوهت انيتا فجأة ببؤس:

ـ يا إلهي!...

ولفت هذا انتباه جولي بالرغم منها، وتابعت انيتا:

ـ أشعر بالغثيان!

وأسرعت عبر الغرفة إلى غرفة نومها، وقبل أن تستطيع جولي إدراكها كانت قد انهارت وهي تتأوه على الأرض: لا بد أن السبب هو ما شربته، وأخذت انيتا تتقيأ بعنف، وانقلب الغضب عند جولي إلى شفقة على الفتاة المنهارة على الأرض عند قدميها.

ـ سأدعو أحداً.

وتراجعت فجأة عندما فتح الباب، ووقف راوول على عتبته.

ونظرت جولي إلى انيتا مدركةً أنها قد لا تحب أن يراها زوجها هكذا..

ـ هل.. لي أن أكلمك؟

وأملت أن يتراجع إلى الممر، ولكنه كان قد دخل، ولاحظ ما يجري!

ـ هل طلبت مساعدة أحد؟

ونظر نحو زوجته دون اكتراث، وهزت جولي رأسها:

ـ لقد.. كنت على وشك طلب المساعدة.. إنها.. لا بد أن السبب شيء أكلته.

ولم يرد راوول، وتوجه بكل بساطة إلى الجرس الذي لم تلاحظه جولي وجذبه بقوة، ثم دخل الحمام وعاد يحمل منشفة في يده، وركع قرب زوجته وأخذ يمسح جبينها من العرق، ثم بعد أن توقف التقيؤ، ساعدها لتقف.

وصول إحدى الخادمات، أعطى جولي الفرصة التي كانت تنتظرها، ولعلمها أن انيتا ليست في وضع يسمح لها بملاحظة غيابها، انسحبت من الغرفة. لقد كانت بحاجة لأن تكون لوحدها، وتفكر بما قالته لها انيتا.

ـ جولي!

نداء راوول جعلها تقف جامدة، والتفتت عند رأس السلم لتجده يسير باتجاهها، وقال وهو ينظر إلى خلفه من فوق كتفه:

ـ أريد التحدث إليك.. ولكن ليس الآن، فأنا بحاجة لحمام، ولتغيير ملابسي.. لاقيني في المكتبة بعد ربع ساعة.

ـ أوه.. حقاً.. وهل هذا ضروري؟ أشعر.. بصداع. ألا يمكن الانتظار إلى وقت لاحق؟

ـ لا أعتقد هذا، لم يكن رأسك يؤلمك كثيراً ليمنعك من التنزه مع بيدرو تحت أشعة الشمس الحامية، ولم يكن كافياً ليمنعك من تشجيع انيتا على الشرب عند الصباح.

ـ انتظر لحظة . . .

ولكن راوول كان قد استدار وهو يقول:

ـ ربع ساعة . . انتظري ربع ساعة، في المكتبة سنيوريتا، أي واحد من الخدم سيدلك عليها.

وجفت شفتا جولي، هذا أول دليل على تعجرفه، وفكّرت أن لا تطيعه، إنها ليست واحدة من موظفيه، وليست خادمة، وليس له الحق في أن يعاملها هكذا لمجرد أنها أعادت صداقتها مع زوجته.

كان فراشها قد أعيد ترتيبه في غيابها، وفتحت نوافذ الغرفة . . وانتشرت برودة لذيذة في الجو. وتهالكت فوق السرير. وعادت إليها ذكرياتها مع تدفق المشاعر:

لقد كانت في الثامنة عشر عندما التقت براوول دي ڤيلانو. ولسوء الحظ، كما عرفت فيما بعد، كان ذلك في منزل انيتا. ولم تكن جولي قد شاهدت انيتا بعد أن تركتا المدرسة، فأنيتا ذهبت إلى مدرسة داخلية في سويسرا. وتوجهت جولي لتستلم وظيفتها كطابعة على الآلة الكاتبة في مؤسسة هيلد هايز لأدوات التجميل. وحل الميلاد، وعندما عرفت انيتا أن صديقتها ستقضي فترة الأعياد في غرفتها، أصرّت عليها أن تقيم معها ومع والديها. قائلة:

ـ سنقيم حفلة في المنزل، سيحضرها اثنان من زملاء والدي وزوجيهما، وعمي وعمتي وابنتيهما، وكونت ايطالي رائع، تأمل والدتي أن أعجبه.

وترددت جولي يومها في قبول الدعوة، ولكن السيدة تاور نفسها ألحّت عليها فقبلت. ووصلت إلى منزل آل تاور لتجد نفسها غريبة هناك، فالجميع كان لهم أصدقاء وأقارب يتحدثون معهم، وما عدا انيتا ووالديها لم تكن جولي تعرف أحداً، إلى أن تقدم منها

راوول . . . الذي أشفق على وحدتها، وجعل كل همه أن يتأكد من استمتاعها بوقتها.

وأغمضت جولي عينيها وهي مستلقية فوق السرير، وعاودتها الذكريات، تذكرت ذلك الاسبوع السحري منذ اللحظة التي تعرفت فيها على راوول إلى الليلة التي عادت بها إلى لندن، عندما غازلها راوول . . .

كان غريباً مثلها، عائلته في ايطاليا، ما عدا والدته التي تزور أقارب لها في أميركا. بعض الأعمال أتت به إلى لندن وكان سعيداً لقبول دعوة آل تاور. وابتسم لها وهو يقول:

ـ العم العازب ليس له قيمة في الميلاد. اخوتي وأخواتي لديهم أطفال، ولا يمكن الاعتماد علي سوى بزيادة الهدايا.

وضحكت جولي:

ـ أعتقد أن هذا سيتغير عندما تتزوج وتنجب أطفالاً.

ـ عندما أتزوج! عندما أجد من تقبل بي. وحتى ذلك الوقت أنا مثل . . . كيف تقولين هذا؟ . . . الخروف الأسود في العائلة.

ونظرت إليه جولي بدهشة، فهي على يقين أن العديد من النساء في بلده سيقبلن به دون تردد.

ـ أتمنى أن تجد ما تبحث عنه. ولكن اعذرني الآن لقد وعدت انيتا أن أساعدها في تحضير بعض الاسطوانات للرقص، فبعد العشاء سنرقص.

بعد العشاء مباشرة اختفى، وتوقعت أن يكون ذهب إلى كنيسة قريبة لحضور قداس منتصف الليل، وبما أن انيتا كانت تتوقع أن يرقص معها فقد تجهم وجهها وقالت لجولي:

ـ تصوري هذا! ترك الحفلة ليذهب إلى الكنيسة! والدتي غاضبة

www.elromancia.com

جداً. تظن أن هذا يعتبر رفضاً لضيافتها.

ـ أعتقد أن الايطاليون من الكاثوليك المؤمنين.

في الصباح التالي، استيقظت جولي باكراً، ونزلت لتجد خادمة منزل عائلة تاور تنظف غرفة الجلوس، فعرضت عليها المساعدة، وبعد تردد من الخادمة قبلت. وما إن بدأت باستخدام المكنسة الكهربائية لتنظيف السجاد حتى نزل راوول. فأوقفت المكنسة فوراً وقالت:

ـ إذا كنت تريد الإفطار فقد أتيت إلى الغرفة الخاطئة.

ـ لست جائعاً، أفضل مراقبتك وأنت تعملين.. لا تدعيني أؤخرك عن عملك.

ـ أظن أن من الأفضل أن تذهب إلى غرفة الطعام لترى إذا كان أحد من الموجودين قد استيقظ، وقد تجد انيتا هناك. كانت تبحث عنك الليلة الماضية.

وكان ردّ رافايل أن مدّ يده إلى خصرها وجذبها إليه، وأبقاها قريبة منه فاحتجت قائلة:

ـ كونت...

ولكن احتجاجها تلاشى وقد شدّها إليه أكثر. لم يعانقها أي رجل من قبل كما عانقها راوول يومها، ولا سمحت لرجل من قبل أن يلمسها بهذه الطريقة، فقالت:

ـ لا!.. لا أريد.. أظن أن من الأفضل أن تذهب.

وحدّق بها راوول متفحصاً:

ـ ما الأمر؟ هل هناك شخص آخر في حياتك؟ اعذريني... ليلة أمس ظننت أنك غير مرتبطة.

ـ أنا غير مرتبطة، ولم أوقفك لهذا السبب، ولكنني لا أحب

هذا.

ـ وما هو هذا؟

ـ أنت تعرف، أعرف أنه عيد الميلاد ولا بد أنك تظن بأنني محتشمة أكثر من اللازم.. ولكن الأمر أنني لا أريد أن تلمسني.

ـ ولكن هذا ليس الانطباع الذي عرفته بالأمس.

ـ لا.. ولكن، ربما الأفضل أن تتقدم نحو انيتا، والدتها ستكون مسرورة من تقدمك منها.

ـ انيتا؟ وما دخل انيتا بيننا؟

ـ أعتقد أنك تعرف. والآن أرجوك أن تعذرني، لقد وعدت الخادمة أن أكنس لها الردهة أيضاً.

وتركته، وقد عرف منها تماماً لماذا دعته عائلة تاور إلى منزلهم.

بعد العشاء تلك الليلة. بدأ الجميع بالرقص، وكي لا تلتقي براوول فضّلت جولي دخول المطبخ لمساعدة الخادمة. وأقبل ابن عم انيتا إلى هناك.

ـ إذاً، أنت تختبئين هنا. هيا.. تعالي ارقصي معي يا جولي. لا يمكن لك البقاء هنا طوال السهرة.

ـ ارجع إلى الحفلة، سأنضم إليك بعد قليل، أريد إنهاء غسل الأكواب.

ـ انسي الأكواب الآن.

وحاول أن يتقدم منها فقالت:

ـ أرجوك...

وابتعدت إلى الناحية الأخرى من الطاولة لتجعلها بينهما وتابعت:

ـ هل تريدني أن أصيح طلباً للمساعدة؟

www.elromancia.com

- وممن؟ لن يسمعك أحد، كلهم مشغولون في الحفلة.

ونظرت جولي من حولها بيأس، باحثة عن شيء تدافع به عن نفسها، ولم تجد سوى زجاجات فارغة، وكانت تخاف من استخدام الأشياء الخطرة. وأخذت تتطلع بخوف حولها، ثم أطلقت صرخة ذعر عندما أمسك بشعرها.

- قلت لك تعالي إلى هنا.

وقاومته جولي بشراسة، ثم سمعت صوتاً يقول بلهجة آمرة هادئة:

- اتركها يا تاور.

وأوقف هذا الأمر الشاب في منتصف معركته، واستدارت عيناه بقلق ليعرف من المتكلم وقال بوقاحة:

- اذهب من هنا.

ولكن عندما عاود مهاجمته لجولي، امتدت يد قوية بلكمة على وجهه رمته إلى الخلف.

- اذهب أنت من هنا. أم تريد أن نكمل هذا النقاش في الخارج؟

وجذب الشاب نفسه مبتعداً، وقال لراوول وهو يمرر يده على وجهه:

- لا داعي للعدائية يا رجل. أنت تعرف كيف تجري هذه الأمور في لحظة يتهالكن عليك، وفي اللحظة التالية يصرخن.

- راوول لا تفعل!

صرخة جولي كانت بسبب مشاهدتها لقبضة راوول ترتفع لتضرب وجه الشاب، الذي اغتنم الفرصة وهرب باتجاه الباب قائلاً:

- ليكن حظك معها أفضل من حظي.

وحرّكت جولي رأسها بهستيرية فسارع راوول ليقول:

- هل أنتِ بخير؟

فهزت رأسها، وعاودت عملها على المغسلة وهي ترتجف قائلة:

- أين انيتا؟ يبدو أنكما كنتما تقضيان وقتاً ممتعاً.

- أما أنت فلا.. هل يدفعون لك أجرك على هذا، أم أنك تحاولين الهرب مني؟

- أوه.. كونت دي ڤيلانو؟

- لقد كان اسمي راوول منذ لحظات.

- لا أستطيع دعوتك بهذا الاسم.

- ولماذا لا؟ إنه اسمي.. تعالي أريد أن أرقص معك، وأعدك أن لا أفعل شيئاً لا ترغبين به، لا يمكنك حرماني من رقصة واحدة.

فتنهدت جولي:

- ولكن انيتا..

- انيتا ترقص الآن.. فهل ستأتين معي؟

ولم تستطع الرفض. مع أنها كانت تعلم بأنها ستندم عند الصباح، ولكن الآن، يكفيها أن تشعر به وهو يجذبها بين ذراعيه، وللصدفة، كانت حلبة الرقص مليئة، وبعد دقيقة لم تعد تستطيع أن تبتعد كثيراً عنه.

وبتنهيدة يأس صغيرة، سمحت لجسدها أن يلتصق بجسده، وأحسّت بأنفاسه على شعرها، وعلى أذنها، ووجهها، ومع ذلك أبعدت نفسها عنه.

- حسناً، لا بأس، أنا آسف، لن أفعل هذا ثانية.

وعندما انتهت الرقصة، تهربت جولي من المكان، غير مهتمة بما قد يظن بها آل تاور. وصعدت إلى غرفتها لتغسل وجهها،

www.elromancia.com

وخلعت ملابسها، ونامت.

في الصباح، استيقظت قبل طلوع الضوء، وارتدت ثياباً دافئة ثم خرجت من المنزل، كان هناك حديقة قريبة، فتوجهت إليها، ولاحظت أن الكثيرين يتنزهون مع كلابهم، وتمنت لو أن عائلة تاور لديها كلب، فبدون رفقة كانت تشعر بالوحدة، ولكنها كانت سعيدة لأن لا أحد يلاحظ اضطرابها.

ووقفت عند بحيرة صغيرة، حيث مجموعة من البط كانت تنقر الثلج على سطحها بحثاً عن الطعام، واستندت إلى شجرة لتراقبها.

ـ هل أستطيع الانضمام إليك؟

السؤال كان موجهاً بصوت منخفض جذاب، فأرسل الرعدة في جسدها. والتفتت لتنظر إلى الرجل الذي كان يخاطبها، وتسارعت نبضات قلبها عند رؤيته:

ـ راوول!

وتحرك مقترباً منها:

ـ لقد سمعتك تغادرين غرفتك.

ـ وهل كنت مستيقظاً؟

ـ لم أنم.. هل نمتِ أنت؟

ـ أجل.. بالطبع، لقد نمت.

ـ إذاً لماذا هذه الدوائر السوداء حول عينيك؟ أظن أننا نضيع وقتنا سدى يا جولي.. كان يجب أن نكون معاً.

ـ لا! أعني.. أتمنى لو تتوقف عن قول مثل هذا لي، لم يكن يجب أن تتبعني. عليّ أن أعود غداً إلى لندن. وانيتا لن تتحمل أن تستغفلها.

ـ لتذهب أنيتا إلى الجحيم! أنا لست مهتماً بها، لم أهتم بها

أبداً. وأنت تغضبيني كثيراً عندما تستمرين في رميها أمام عينيّ!

●●●

www.elromancia.com

٥ ـ جرح في الذاكرة

كان الهدوء يعم الغرفة في القصر، وانقلبت جولي على ظهرها في السرير. . . ماذا تفعل؟ وانقبض قلبها، لقد كانت تستعيد كل هذه اللحظات من الماضي، ولكن هذه اللحظات لن تفيد الحاضر، ولن تقدّم الاجابات عن سبب تعاسة انيتا، كل ما تفعله أن تثير ذكريات غير مريحة أبداً. وتبعث شعوراً مؤلماً بأن الماضي لم يمت، بل كان نائماً. . .

وتذكّرت كم كانت متكدرة لغضبه. . إذ قالت له:

ـ أنا آسفة، ولكن حتى ولو كان ما تقوله صحيحاً، فلا يحق لك أن تفترض. . .

ـ إنه ليس افتراضاً. . أنت تريدينني يا جولي، كما أريدك تماماً.

ـ لا. . .

ـ ماذا تعنين بلا؟ هل تخيفك قلة صبري؟

ـ لا. . أعني. . أجل. راوول أريد العودة.

ـ بعد قليل. . .

وتجاهل احتجاجها وتقدم منها، ورفع وجهها لينظر إلى عينيها.

فقالت:

ـ راوول.

وتنفس بعمق وحاول إسكاتها:

ـ جولي!

وقطعت معانقته لها أية محاولة للاحتجاج، وبعد قليل تركها، ومن خلال تورد وجهها الجميل عرف الجواب الذي كان يسعى إليه، فأخذ يدها بيده:

ـ تعالي. . سنسير معاً.

وخلال فترة الصباح سارا في الحديقة، يتبادلان الحديث حول خصوصياتهما الحميمة. . أخبرته عن انفصال أبويها، عن أيامها في المدرسة، عن الأيام التي لم يكن يأتي فيها لا والدها ولا والدتها لرؤيتها. وتصميمها العميق على النجاح في حياتها، وتكلم راوول بخشونة عن خيبة أهل أمه لأن أكبر ابن في العائلة لم يتزوج بعد، وأخبرها عن شقيقه الأصغر وأخواته الثلاثة، وكلهم متزوجون وعندهم عائلاتهم، وعن منزله في ايطاليا، حيث أسس الجد الأكبر لأسلافه مزرعة عنب ومعصرة. وتحدث عن بلده بفخر وعاطفة، واصفاً تلالها المليئة بالأشجار، وربيعها البارد المثلج. والحقول الغنية المكسوة بالأعشاب حيث ترعى قطعان الماشية، وعن الجبال والسواقي والأنهار التي تجري بسلام تحت شمس ايطاليا الدافئة.

وفكرت جولي، أنها كان يجب أن تفهم من البداية أن علاقتهما قد قدر لها الفشل، فعلى الرغم من حب راوول لانكلترا، إلا أنه كان متعلقاً بجذوره الاجتماعية، وهذا النوع من الالتزامات التي يتمتع بها شقيقه وشقيقاته تجدها جولي مخالفة تماماً لمبادئها. ولكنها يومها قالت لنفسها إن الأمر لن يهم، فما بينهما هو مجرد

علاقة عابرة، ومتى عاد إلى ايطاليا فسينسى كل شيء عنها.

ومضى اليوم بسرعة. راوول، على عكس جولي لم يكن عنده أي حرج في إظهار مشاعره أمام آل تاور، وكان قد استأجر سيارة لاستخدامها خلال إقامته في انكلترا، فأخذ جولي في نزهة لتناول الشاي في فندق على الشاطىء يبعد خمسين ميلاً. وتصرف معها دون خطأ، وفي طريق عودتهما أوقف السيارة إلى جانب الطريق والتفت إليها:

ـ متى سأراك ثانية؟ الأفضل أن تعطيني عنوانك كي أعرف أين أجدك.

ـ تستطيع الاتصال بي في مكان عملي فليس لدي هاتف حيث أعيش. وصاحبة المنزل لا تحب أن يتصل أحد عبر هاتفها.

وأعطته رقم الهاتف، فقال:

ـ ولكن عنوانك. أريد أن أعرف أين تعيشين، وليس مكان عملك.

ـ لن يعجبك المكان.

ـ دعيني أحكم بنفسي، هل ستخبريني أم أحصل عليه من المكتب؟

فأعطته العنوان قائلة:

ـ إذا أتيت بسيارتك فلا تلومني إذا سُرقت!

ونظرت إليه بعينين مليئتين بالحيوية:

ـ أريد أن أراك ثانية، هل تأخذني غداً مساء، بعد العمل؟

خلال الأسابيع التالية، مرت جولي بأرق مشاعر عاطفية عرفتها في حياتها، وللمرة الأولى في حياتها تخلت عن متابعة دراستها لتكون مع راوول. بعدها تلقت دعوة من والدته لمرافقته إلى وطنه.

فقد كانت ترغب في لقاء الفتاة التي أحبها ابنها، ولكن جولي عرفت بأن ما تريده حقاً هو معرفة ما إذا كانت مناسبة لتكون زوجة له.

حتى ذلك الوقت، كانت مسألة الزواج بعيدة عن البحث، على الأقل من جانبها، ولكنها فجأة أصبحت محور الدرس، ووجدت جولي أنها ليست مستعدة لهذه الفكرة بعد، تماماً كما كانت عندما قابلت راوول قبل ستة أسابيع، وكان عليها أن تقول له إنها لا تتقبلها الآن.

المشكلة أن جولي لم تكن متأكدة بعد أنها تحب راوول، على الأقل ليس بالطريقة التي يقول إنه يحبها فيها. فقد كانت ذكرى ما حدث لوالدتها تلاحقها. وذكرى ما مرّ بها خلال إقامتها في المدرسة جعلها تتعلق بحريتها. على كلٍ.. ماذا تعرف عن راوول؟ ماذا تعرف عن حياته؟ وهل ستكون سعيدة فعلاً بالتخلي عن مستقبلها العملي لأجل الأمان المشكوك فيه للزواج؟

وذات مرة كانت جولي على موعد للقاء راوول وقت الغداء. ولكنها تلقت رسالة منه في الدقيقة الأخيرة يقول فيها إنه على موعد عمل، طالباً منها أن تنتظره في غرفته في الفندق. ولكن جولي كانت مضطرة للعودة إلى المكتب لتعمل مكان فتاة أخرى غائبة، فتركت له رسالة في الفندق بأنها ستلتقيه فيما بعد.

وكانت الساعة تقارب السادسة عندما عادت من عملها إلى فندقه. وكان راوول بانتظارها في غرفته، وفتح لها الباب:

ـ لقد تأخرتِ!

ـ أعلم، وأنا آسفة، لقد أعطاني المدير بعض الرسائل لأطبعها قبل انتهاء الدوام بقليل. ثم.. لقد أخّرني المطر...

ـ لم يكن بإمكانك ترك هذه الرسائل كما أعتقد.

www.elromancia.com

ـ لا . . كيف يمكنني تركها؟ هذا عملي .
ـ وعملك مهم لك، أليس كذلك؟
ـ طبعاً .
ـ وكم هو مهم؟
ـ لست أفهمك . . .
ـ لقد سألتك كم هو مهم عملك؟ هل هو أهم منا؟ أهم من علاقتنا؟ أهم مني؟
ـ راوول . . .
ـ أريد أن أعرف يا جولي . . عليّ أن أعرف . قولي لي إن ما سمعته ليس الحقيقة . قولي لي إن ما تبنينه من مشاريع لنفسك ليس أهم ما في حياتك .
ـ لست أفهم . . ماذا سمعت؟ وممن؟ لقد كنت أعتقد أنك ستتناول الغداء مع بعض رجال الأعمال . هل كانت هذه كذبة؟
ـ لا . . لم تكن كذبة، رجل الأعمال الذي تغديت معه كان روجر تاور .
ـ أوه . . والد أنيتا .
ـ وكانت معه أنيتا أيضاً .
ونظرت جولي إلى يديها وكانتا ترتجفان :
ـ وماذا قالا لك؟
ـ لم يقل روجر شيئاً . وماذا تتوقعين منه أن يقول؟ ولكن . . .
بعد أن انتهى الغداء، شاهد رجل أعمال يعرفه في المطعم وأراد التحدث معه، وبقيت أنا مع انيتا .
ـ وهكذا أخذت تسليك .
ـ وهل كانت تكذب؟ لو قلتِ لي إن كلامها ليس صحيحاً،

فسأصدقك أنت بالطبع .
ـ ولكنك ستشك، أليس كذلك؟ ولن تستطيع صرف النظر عما قالته دون توجيه الاتهام لي!
ـ أنت تعرفين لماذا لا أستطيع صرف النظر عما قالته، منذ اسبوعين حتى الآن، وأنا أحاول أن أقنعك بالذهاب معي إلى ايطاليا، للقاء عائلتي، ولكنك لم توافقي، بل أنت تراوغين وتختلقين الأعذار، مما يزيد يقيني بأنك لن تفعلي .
ـ لا أستطيع أن آخذ عطلة . . .
ـ ولماذا لا؟ وماذا يهمك لو طردوك إذا كنت ستتزوجيني؟
ـ أتزوجك؟
وابتلعت جولي ريقها بصعوبة، فقال راوول بخشونة :
ـ بالطبع . . أنت تعرفين بأن هذه هي الخطوة التالية، يا إلهي، ألا يمكنك التفكير؟ بعد كل ما بيننا، هل سأكتفي بأقل من الزواج؟
وهزت جولي رأسها :
ـ ولكن . . الزواج . . .
وتقدم نحوها وأمسك بذراعها بقوة آلمتها وتابع :
ـ جولي . . قولي لي إن مخاوفي ليس لها أساس، لقد كدت أجنّ بعد ظهر هذا اليوم لعدم معرفتي ما إذا كانت تكذب أم لا . لقد قالت إنك أخبرتيها بأنك لا تنوين الزواج، وإن الجميع يعرف هذا ما عداي .
قولي إن هذا غير صحيح وسأصدقك! قولي إنها تحاول أذيتك . جولي بحق كل القديسين، قولي شيئاً لتخرجيني من بؤسي!
وترددت في أن تجيبه طويلاً، وترددها هذا جعل راوول يحس أن كلام انيتا لم يكن دون أساس، فصاح وهو يبتعد عنها :

www.elromancia.com

ـ لقد كانت على حق. يا إلهي.. لقد كانت على حق! وأنا، الغبي المسكين، كنت أحاول أن أجد الأعذار لك!

ـ لا...

وتقدمت منه محاولة عناقه، ولكنه أمسك بيديها وأبعدها عنه:

ـ وماذا تعنين بقولك لا؟ هل ستتزوجيني؟ وهل ستقبلينني بالرغم من كل شيء؟

وحرّكت جولي رأسها من جانب إلى آخر:

ـ راوول.. يجب أن تعطيني وقتاً...

ـ وقت؟ وقت؟ وكم ستحتاجين لتختاري بين حياتك وحياتي؟

ـ راوول.. الأمر ليس هكذا...

ـ وكيف هو؟ أخبريني! ألست ثرياً بما فيه الكفاية؟ هل هذا هو الأمر؟ لو كنت مليونيراً هل كنت تنظرين إليّ بتفضيل أكثر؟

ـ هذا ليس عدلاً يا راوول! أنت لا تحاول أن تفهمني...

ـ اجعليني أفهم.

ـ راوول.. لقد افترق والداي وأنا فتاة صغيرة. والدي أراد حريته، ولم يكن يهتم بما يحدث لنا. وكان على والدتي أن توفّر وتقتصد كي نستطيع أن نعيش.

ـ وإن يكن.. ما دخل هذا بنا؟

ـ أنت لا تسهّل الأمور عليّ...

ـ ولماذا أفعل؟

وأحنت جولي رأسها:

ـ أنت لاتستطيع تصوّر ما جرى... أن تكون دون مال...

ـ ولكنك ذهبتِ إلى مدرسة جيدة.

ـ لأن ابن عم والدتي أشفق عليّ، وأقسمت عندها أن.. أن لا

يفعل أي رجل بي مثل ما فعل والدي بأمي...

ـ وهل تظنين أنني قد أفعل هذا؟

وأمسك بكتفيها وأدارها لتنظر إليه.

ـ أنا.. لست أدري..

ـ يا ربي...

ـ راوول.. لقد كان والداي يحبان بعضهما عندما تزوجا، يحبان بعضهما حقاً، لقد قالت لي أمي هذا، وتركت المدرسة لتتزوجه.

ـ جولي.. هذا كان من عشرين سنة..

ـ وهل تغير شيء؟ المرأة لا زالت ضعيفة يا راوول. الزواج يجعلها معرضة لكل المشاكل، الأطفال يجعلونها هكذا أيضاً. أحتاج إلى وقت...

ـ لا!

ـ لا؟ لست أفهم...

ـ بل أعتقد أنك تفهمين.. ولن يكون هناك أي وقت، لقد استمعت لما قلتيه، وأقول لك، لن أنتظر أكثر من هذا. أنا آسف لما حدث لوالدتك، ولكنني لا أفهم ما دخل هذا بنا.

ـ راوول، أنا مثل أمي.. ألا ترى هذا؟ ولديّ فرصة لمستقبل في عملي...

ـ كطابعة على الآلة الكاتبة؟

ـ كبداية.. نعم. ولكنني لاأنوي أن أبقى هكذا طوال حياتي. الدروس التي أتلقاها في الكلية..

ـ أوه.. احتفظي لنفسك بهذه التفاصيل! أتظنين أنني أقبل بأن أسمع شيئاً عن عملك؟ أنت غبية، ولقد جعلتيني أبدو غبياً أيضاً. وأستطيع قتلك لأجل هذا؟

www.elromancia.com

وشعرت جولي بالخوف، ليس بسبب تهديده، بل لسبب أعمق، ربما لإحساسها بأنها مخطئة. فقالت متوسلة:

- راوول.. أرجوك. لا تكن قاسياً هكذا. أنا أحبك، فعلاً! ولكن أنت تطلب مني الكثير... وخلال وقت قصير...

- ربما ليس هذا كافياً.. ربما تفضّلين أن نتعاشر دون زواج.. هل هذه هي طبيعة العلاقة التي تفكرين بها؟

- إننا مع بعضنا، وهذا ما يهم.

- ربما لك. أي نوع من النساء أنت؟

- ماذا تعني.. يا راوول؟

- لقد قلت بنفسك، إنك تحبيني، وهذا شيء أستطيع فهمه.

- راوول.. لا تنظر إليّ هكذا! أنا أحاول أن أفكر بالأمر بطريقة متحضّرة.

- وكذلك أنا. وما هو أكثر تحضّراً من أن نفترق كما تقابلنا؟ كأحباب!

- راوول.. يجب أن نتكلم أكثر عن الموضوع...

- ليس هناك وقت للكلام. لقد تكلمنا بما فيه الكفاية.

وتقدم منها ممسكاً بها وألقاها فوق السرير، وتابع:

- لقد عذبتيني بما فيه الكفاية، وسأفعل شيئاً ستتذكريني به طوال حياتك.

- وهل تريدني أن أكرهك طوال حياتي؟

- الكراهية أفضل مما تفعلينه بي، على الأقل الكراهية عاطفة نارية!

- اتركني يا راوول... أرجوك!

وعلم راوول بأنها قد أدركت تصميمه فضحك عالياً:

- أنت مذهولة! غاضبة! ولكنني لا أخاف الغضب...

- راوول.. لأجل الله!

وكأنه ملّ من لعبته، فتراجع عنها.

- لماذا يبدو عليك الاضطراب هكذا؟ أليس هذا ما ترغبين به؟

- راوول.. لا يمكن أن تكون جاداً.

- ولكنني جاد.. فلماذا لا أحصل عليك؟ هل تستطيعين التفكير بطريقة أفضل من هذه لتدمير الذكريات التي بيننا؟ سأعاملك كساقطة أنانية، كما أنت عليه بالفعل!

وتأوهت جولي، وقالت متوسلة:

- راوول.. لا تفعل هذا...

ولكن، حتى وهو في ذروة غضبه، لم يستطع إنكار حقيقة مشاعره، فتوقف عنفه، وانتهى الأمر بسرعة، ولكنه لم يتراجع عنها. بل دفن رأسه في شعرها، مغمضاً عينيه.

وتحركت جولي، وفتح راوول عينيه، ولم تكن تعرف ماذا تتوقع أن ترى في عينيه، وبحركة اشمئزاز، ابتعد عن السرير. وسار نحو الحمام. والتفت إليها من فوق كتفه:

- اذهبي.. اخرجي من هنا! عندما أخرج من الحمام، لا أريد أن أراك!

وهي تفكر، أدركت جولي أن الدعوة التي تلقتها، بعد فترة وجيزة، لحضور زفافه مع انيتا، هي التي آلمتها أكثر من أي شيء آخر. ربما، لو أن راوول سافر إلى بلده، وتزوج فتاة إيطالية لكان ممكناً أن تبعده عن تفكيرها، مع أن الأمر كان مستحيلاً، ولكن أن يلجأ إلى انيتا، أن يتزوج انيتا، وهي تعلم أنه لم يكن ينوي أبداً أن يفعل هذا، فقد شعرت بعذاب أليم، وهذا ما كان يقصده دون

www.elromancia.com

شك، ولكن ما أزعجها أكثر، هو مبلغ الألم الذي أحسّت به، مدى ما عانته بسبب عمله هذا.

ذهابها إلى الكنيسة لحضور الزفاف كان القصد منه إعادة الطعنة له. وقتل أي عاطفة قد تكون بقيت في داخلها نحوه، ونجح هذا الأمر، وتزوج راوول.. ولن تستطيع فعل شيء حول الأمر الآن. وتركت الكنيسة بصمت، قبل وقت طويل من توقيع العروسين على العقد. وانتهى الأمر، وأصبحت حرة. ولو أن هذه الحرية كانت فارغة، إلا أن الزمن كفيل بملء هذا الفراغ.

وهذا ما حدث. فعملها ونجاحها، كانا كفيلين بإرضائها، ولا فائدة الآن من ترك المشاعر الدفينة تدمر إنجازاتها التي حصلت عليها بالعرق والتعب.

لقد انتهى الماضي بالنسبة لها... ولقد طردت كل الأشباح.. ولم تعد تطاردها، وعليها أن تتعلم كيف تواجه راوول دون أية عاطفة، أو، فإن عليها أن ترحل قبل فوات الأوان...

●●●

٦ ـ قانون لا يرحم

القرع المتواصل على الباب، أعاد جولي إلى حاضرها، لا بد أن أحداً يفتش عنها، ربما راوول ليس مستعداً لانتظارها كي يتحدث إليها حسب ما تريده هي.

ـ من الطارق؟

وشعرت بالراحة عندما سمعت صوتاً نسائياً يرد:

ـ أنا ايما سنيوريتا.. أنا آسفة الطعام جاهز.

ـ أي طعام؟

ونظرت إلى ساعتها لتجد أنها تجاوزت الواحدة! لقد مضى وقت طويل على موعدها مع راوول.

ـ آه.. الغداء؟

ـ سي سنيوريتا الغداء.. هل ستأتين؟

ـ آه.. أجل.. خمس دقائق فقط.

ـ خمس دقائق.

بعد خمس دقائق، توجهت جولي إلى السلم، كانت تسير واثقة من نفسها الآن، وتوقفت فجأة عندما وصلت إلى الردهة. فقد ظهر

www.elromancia.com

راوول من غرفة على يمين السلم، والتقت نظراتهما بنفور مشترك. وقالت له:

ـ لم أكن أدري أن الوقت قد فات.

ـ ولكنه فات، تأخرتِ كثيراً. هل نذهب لتناول الغداء؟ زوجتي تنتظرنا. ستجدين أنيتا ذات شهية مفتوحة، وخاصة بالنسبة لشخص أعصابه محطمة.

وكانت انيتا تنتظر جالسة عند الطاولة، فقالت:

ـ ها أنت هنا إذاً يا جولي. أين ذهبتِ؟ لقد كنا نتبادل حديثاً حميماً، وما إن شعرت بالغثيان حتى...

ـ لقد شعرت بالصداع، فذهبت إلى غرفتي. ونسيت الوقت.

وجلست جولي على المقعد الذي قدّمه لها راوول فالتفتت انيتا إليه قائلة:

ـ هكذا إذاً.. لقد ظننت أنكما مع بعض.

وردّ عليها راوول:

ـ أرى أنك تحسنت كثيراً، وكالعادة، تبحثين عمّن تلومينه على ضعفك.

ـ راوول!

صرخة انيتا المحتجة، أدخلت الشفقة إلى نفس جولي، فأخذت تنظر في طبقها، ولم تعد تشعر بشهية للأكل. وعلى الرغم من كلام راوول القاسي، تناولت انيتا طعامها بشهية. ومن وقت لآخر كانت جولي تركّز نظرها على راوول، وتسرع لإبعاد نظرها عنه عندما يلتفت. وكأنه كان يعرف تماماً بماذا تفكر، ومع أنه لم يقل شيئاً، فقد كانت نظراته تظهر أنه يعرف. ما من أحد كان يبدو مريضاً جداً منذ ساعات يمكن له أن يستعيد نشاطه سريعاً هكذا، كانت جولي

مقتنعة أن انيتا لم تختلق مرضها، ولكنها كانت تدرك أن شيئاً حيوياً ينقص تصرفاتها.

وحاولت انيتا أن تحافظ على الجو المريح.. فقالت:

ـ يجب أن نحاول جعل زيارتك لنا مسلية يا جولي. ليس هناك الكثير مما نعمله هنا، ولكننا على مسافة قريبة من فلورنسا وسينا، والساحل هناك جميل جداً، إذا كان لا يزعجك وجود الناس.

ـ أوه.. حقاً.. لا لزوم لتسليتي، فأنا سعيدة بعدم القيام بشيء، فأنت تعلمين أن حياتي كلها عمل في لندن، ومن الجيد أن أرتاح.

وقال راوول معلقاً:

ـ يجب أن لا تنسي يا انيتا أن جولي تسافر كثيراً بسبب عملها. على كل.. نحن محظوظين لأنها وجدت وقتاً لزيارتنا. ولا يجب أن نتدخل في حريتها.

فابتسمت انيتا بسخرية:

ـ أنا واثقة بأنك لو عرضت عليها أن تريها بلدك، فلن ترفض يا راوول. أعرف أنكما لم تفترقا كأصدقاء، ولكن هل لنا أن ننسى الماضي؟

وأجابها راوول متوتراً:

ـ وماذا تقترحين، يا انيتا؟ أن أتخلى عن عملي في هذا الوقت الأكثر أهمية في كل السنة؟

فقالت جولي:

ـ أوه.. أرجوك..

ولكن انيتا لم تدعها تكمل:

ـ ولماذا لا؟ جوليو نيكولاس قادر تماماً على رعاية كرومك الثمينة لبضعة أيام.

ـ وهكذا أستطيع مرافقتكما في رحلة حول توسكانيا؟ لا أظن هذا يا انيتا، فأنا لست دليلاً سياحياً. وأنا أكيد أنكما ستجدان بيدرو مسلياً لكما أكثر.

ـ ولكنني لا أريد بيدرو.

فهز راوول كتفيه:

ـ ولكن هذا ليس ما أعرفه.

ووضعت أنيتا الشوكة من يدها.

ـ وماذا يفترض بهذا القول أن يعني؟

ـ أي شيء تستطيعين استنتاجه يا انيتا.

وأطبقت قبضتا انيتا بغضب:

ـ أيها.. القذر!

ـ لست أنا القذر يا انيتا.

ـ كيف.. كيف تجرؤ؟

وكادت جولي تموت من الإحراج وحاولت أن تقف:

ـ إذا عذرتماني...

ولكن راوول قاطعها:

ـ أنا من سأطلب أن تعذراني سنيوريتا. أنا تعبة قليلاً. سأراكما عند العشاء.

وترك ذهاب راوول فراغاً غير مريح، لم يبدو على انيتا أنها مستعجلة لملئه. وبدت مستغرقة في أفكارها. ولكن بعد أن سحبت طبقاً مليئاً بالفريز الايطالي الشهي نحوها قالت شارحة:

ـ راوول يغار كثيراً. إنه لا يهتم بي ولا كم أنا وحيدة، ولكنني إذا حاولت أن أتصادق مع أحد...

ـ مثل بيدرو كازولي.

فهزت انيتا رأسها:

ـ لقد قابلتي بيدرو، وتعرفين كم هو... فاتن. وكان لطيفاً جداً... معي..

ـ لطيف؟

ـ أجل لطيف. أعتقد أنني لولا بيدرو لجننت!

ـ ولكن هل هذا أمر حكيم؟ أعني معاداة راوول؟ إذا كان لا يوافق على صداقتك...

ـ كنت أعلم أنك ستقفين في صفه.. أنت لم تحاولي أن تفهمي.

ـ ولكنني أحاول يا انيتا. مع أنني لست أفهم كيف يمكن أن يساعدك وجودي هنا.

ـ لن يساعدني بشيء إذا رفضت تقديم المساعدة، هل فكرتي بما طلبته منك؟ هل رأيتِ كم من الصعب عليّ الكلام مع راوول، ألا تستطيعين على الأقل أن تحاولي؟

ووقفت جولي عن الكرسي، ووضعت يديها المرتجفتين في جيب بنطلونها. كانت تعرف أن هذا سيأتي، وما زالت غير قادرة على إجابتها، كيف ستتمكن من التحدث إلى راوول؟ كيف تعرض عليه قضية انيتا؟ كيف تستطيع أن تطلب منه أي طلب، وهو يبدو بكل وضوح أنه لم ينسى الماضي ولا سامحها به؟ وقالت:

ـ أنيتا...

ـ أعلم ماذا ستقولين، ولن أقبل به، راوول سيصغي إليك.

أرجوك يا جولي، لا تتخلي عني! أنت الوحيدة التي أثق بها.

وشعرت جولي بالراحة عندما أبلغتها انيتا أنها ستذهب لترتاح بعد الغداء، فهذا سيعطيها الفرصة لكي تستجمع أفكارها.

وبعد أن صعدت أنيتا إلى غرفتها خرجت جولي إلى الحديقة.

كان السكون يعم القصر، حتى الطيور بدت صامتة في ظل سكون الجو. وكان أزيز الحشرات هو الصوت الوحيد الذي استطاعت ملاحظته. وعبر النهر من تحتها، كانت الماشية ترعى بكسل، حتى السيارات القليلة التي كانت تمر على الطريق بدت وكأنها تسير ببطء.

عند المساء، بدأت تحضّر نفسها للعشاء على مضض، فذكرى ما حدث بين راوول وأنيتا على مائدة الغداء كان لايزال يشغل تفكيرها. وارتدت بنطلوناً حريرياً أبرز جمال ساقيها، وارتدت فوقه قميصاً دون أكمام له حزام ذهبي يظهر رشاقة خصرها. وكان الطقس حاراً حتى أنها كرهت أن تترك شعرها منسدلاً على ظهرها، كما أنها ملّت من ربطه وراء رأسها، فعقصته في رباط حريري إلى خلف أذنيها.

وكانت الساعة بعد الثامنة عندما بدأت تنزل السلم وتسارعت دقات قلبها عندما رأت النور ينبعث من المكتبة، وتوقفت عند بابها، ونظرت إلى الداخل، جدران مليئة بالكتب كانت تشكل خلفية طاولة سنديان، أمامها مقعدان عاليا الظهر، ولكن الغرفة بدت خالية، وكانت على وشك أن تبتعد، عندما استدار أحد المقاعد على محوره. ونهض راوول، وأخذت عيناه الباردتان تنظران إليها.

ـ هل أستطيع أن أقدم لك شراباً؟

ودخلت جولي إلى الغرفة رغماً عنها.

ـ كامباري أرجوك.. شكراً لك. أين أنيتا؟ ألم تنزل بعد؟

ـ لن تنضم إلينا. هل ترغبين أن أضيف الصودا؟

ـ قليلاً منه فقط. هل هي بخير؟ لا يمكن أن تكون مرضت ثانية؟

ـ ليس حسب علمي. آسف إذا كانت رفقتي تضجرك، سوف أتأكد من تجنب كل ما قد يزعجك.

وتناولت جولي الكوب منه، ولكنها لم تتذوقه، وقالت:

ـ أنا آسفة. عليّ أنا أن أعتذر. لم أكن أظن أن وجودي هنا سيسبب الازعاج هكذا.

ـ ألم تكوني تعرفين.؟ ولكنني واثق بأنك كنت تعرفين تماماً هذا. وأتمنى منك أن تغادري بأسرع وقت ممكن.

والتقطت جولي أنفاسها:

ـ أهذا ما كنت تريد قوله لي هذا الصباح؟

ـ بين أشياء أخرى. فأنت قد اعتدت عدم الاستماع إلى ما أشعر به، لذا فأنا مضطر لأن أقول لك بأصرح كلمات ممكنة.

شعرت جولي بالغضب، إنها تحاول أن تختلق الأعذار لوجودها هنا، لرجل يظهر لها بأنه لم يكن يريدها أن تأتي. وعلى الأقل على راوول أن يحترم صدقها. أم أنه أصبح معتاداً جداً على الكذب، ولا يستطيع أن يميز الحقيقة عندما يسمعها؟ فقالت له بذهول:

ـ أعتقد أنك قلت ما فيه الكفاية. فأنا لا أحب أن أكون هنا مثل عدم حبك لأن ترافقني. وأستطيع التفكير بعشرات الأشياء التي يمكن أن أفعلها في هذا الوقت!

ـ مع شخص آخر؟

قاطعها ساخراً، حتى أنها فقدت أعصابها.

ـ أجل.. إذا كان يهمك أن تعرف. فأنا معتادة أن يعاملني الجميع على قدم المساواة معهم، وليس بدرجة أدنى، يمكنك أن تمارس هذا مع أنيتا، ولكنك لن تنجح فيه معي! ولا عجب بأن تلجأ انيتا إليّ، متوسلة للمساعدة والدعم، يا إلهي.. أنت شخص

متسلط، أتعرف هذا؟ تقف هكذا، تملي قوانينك، وتتوقع من الجميع أن ينحنوا لطاعتك!

وأصبحت ملامح وجه راوول مخيفة؛ وخشيت بأن يقوم بعمل جسدي عنيف ضدها، وتقدم نحوها، ثم، وكأن قوة داخلية قد لجمته، ابتعد عنها.

ووصلت الخادمة لتعلن أن العشاء حاضر. فتوجها إلى غرفة الطعام، وجلست لوحدها مع راوول إلى المائدة. وتمنت لو أنها كانت تعرف أن انيتا لن تكون معهما. ولكن يبدو أنها لم تكن تخشى أن تترك زوجها مع صديقتها لوحدهما، وهكذا تركت الأمر لجولي كي تختار ما ستقوله له.

كانت جولي تعلم بأن ليس عندها حظ كبير في التوصل إلى تفاهم مع راوول هذا المساء، فقد دمّرت بنجاح أية فرصة، ونظرت إليه، متعجبة كيف يمكن لأنيتا أن تتوقع منها النجاح معه.

بعد انتهائهما من تناول الوجبة الرئيسية قدّم لها طبق من الفاكهة وآخر يحتوي على مختلف أنواع الجبن. وقرر راوول أن يكسر الصمت المتوتر بينهما، فقال:

ـ هذا الجبن يُصنع في مكان ليس ببعيد عن هنا. والجبن هو جزء هام من الوجبات الإيطالية، إضافة إلى الحساء والمعكرونة، وبالطبع هذا برفقة الشراب الجيد، والحديث الجيد.

ونظرت إليه جولي نظرة ارتياب.

ـ أنت تمزح بالطبع.

ـ ألا تجدين الشراب لذيذاً، إنه من مزارعنا أنا أحبه دائماً.

ـ لم أكن أتحدث عن الشراب، وأنت تعرف هذا. . ماذا يفترض بي أن أقول؟ هل أقول إنني آسفة؟ إنني كنت فظة معك؟ هذا

صحيح، وأنا أعرف هذا. . ولكنك جعلتني. . .

ـ غاضبة؟

ـ لا بل، محبطة، فأنت لا تصغي إلى المنطق. أنت تقدم رأيك الخاص حول الوضع، وترفض التزحزح عن رأيك.

ـ إذاً. . سنعقد هدنة بيننا. . هه؟ يمكنك الاحتفاظ بأسرارك وسأحتفظ أنا بأسراري. ولكن، الآن، لننسى خلافاتنا، ونتحدث في الأمور غير الشخصية التي يتحدث بها شخصان لم يريا بعضهما منذ زمن طويل.

ـ وهل يمكننا أن نفعل هذا؟

ـ نستطيع أن نحاول. تعالي. . سنتناول القهوة في المكتبة. كي تتمكن مارغو من تنظيف الطاولة.

وجلست جولي على المقعد المريح في المكتبة شاعرةً بأن التوتر ما زال سائداً. هذه الهدنة تبدو هشة، ولا يمكن لها أن تنسى كم أن غضب راوول عنيف. ولكنها كانت تأمل بأن تبعد تفكيره عن خلافاتهما، لهذه الليلة على الأقل، وغداً، ستفكر بطريقة للحديث معه.

عندما استلقت في فراشها، بعد ذلك بوقت طويل أخذت تفكر، لماذا أصبحت أقواله لا تقنعها كثيراً. وتنهدت. ربما ليس من الطبيعي أن تتساءل عن قناعاتها هنا، وقد اضطرت إلى أن تكون برفقة رجل لم يشكل أبداً تهديداً لما تؤمن به. ولم يكن من فائدة الآن أن تتأسف على قدومها إلى هنا. فقد كانت انيتا يائسة وتهدد بالانتحار، فكيف تستطيع تجاهل رجاءها؟ ولم تكن تعرف ما وصل إليه زواجها من راوول. وأخذت تسوي الوسادة تحت رأسها بيدها، وتتحضّر للنوم، غداً ستجد طريقة لتلبية مطالب انيتا.

ولكن هذا لم يحدث.

فعندما أتى الغد، دافىء ومشمس ومليء بالأمل، وصلتها دعوة من راوول لزيارة المعصرة والكروم. وأنهى دعوته التي أوصلتها ايما: «هذا إذا كنت ترغبين». وخمنت جولي بأنه يتوقع منها الرفض.

في الطابق الأرضي، جذبتها رائحة القهوة إلى غرفة الطعام، ولكن يبدو انها ستتناول الإفطار لوحدها. ووجدت مارغو تضع آخر اللمسات على المائدة:

ـ آه.. بونجورنو سنيوريتا. الكونت يقول إنك يجب أن تأكلي شيئاً قبل أن تذهبي. هل ترغبين بشيء آخر؟

بوجود طبق مليء بالخبز المحمّص، وقطع من الزبدة، على طبق إلى جانب المربيات التي ذاقت منها في اليوم السابق، لم تستطع التفكير بأنها قد ترغب بشيء آخر.

ـ هذا عظيم يا مارغو. شكراً لك.

وقالت لها مارغو وقد بدا الارتياح على وجهها.

ـ حسناً جداً...

وفكّرت جولي: كيف يمكن لأنيتا أن تنفر من هؤلاء الناس الطيبين.

ـ أين الكونت دي ڤيلانو.؟ ألن ينضم إليّ؟

ـ الكونت تناول إفطاره منذ ساعة سنيوريتا.. وداعاً..

وتمتعت جولي بوقتها. فهذه المرة الأولى منذ اليوم السابق التي تستطيع فيها أن تتناول الطعام بسلام، دون التوتر الموجود دائماً لدى مضيفيها، ولم تخدع نفسها بأن اليوم قد يكون مختلفاً.

كانت تتناول ثاني فنجان قهوة، عندما وصل راوول، ولكنه هذه

المرة لم يحييها بعداوته العادية، وقال لها متسائلاً:

ـ هل تركبين الخيل؟

ـ قليلاً.

ـ إذاً، إذا كنت جاهزة؟

واختار راوول لها فرساً تدعى ليزا. وكانت جميلة جداً لونها كستنائي، طويلة الساقين ولكن سهلة الانقياد، كما أكد لها. وقفز راوول على صهوة جواده الأسود، وأمسك سائس مسن لجام الفرس بينما كانت جولي تمتطيها، وقال لها راوول:

ـ استرخي.. أنت تمسكين اللجام وكأنك خائفة أن يفلت من يدك. لقد قلت لك إن ليزا لا تشكل خطراً عليك. إنها مسنة.. كيف تقولون أنتم الإنكليز.؟ لقد تعلّمت كل الحيل. أليس كذلك؟

ـ لست واثقة إذا كان هذا سيعجبني أم لا.

ـ هل ترغبين أن تركبي على ديابلو.؟

ـ إذا كان ديابلو يعني ما أفكر به.. لا..!

ونظرت من حولها بثقة أكبر وسألته:

ـ كم تبعد المعصرة؟ هل تذهب إلى هناك على ظهر الجواد دائماً؟

ـ أحياناً أذهب، وأحياناً لا. تعالي سنذهب من هنا. سأريك الأرض التي قاتل أسلافي وماتوا لاسترجاعها.

ومرت فترة الصباح بسرعة. لقد مضت سنوات لم تركب فيها جولي الخيل. ومع أنها كانت تعتقد بأنها ستشعر بتصلب في جسدها في اليوم التالي، إلا أنها سريعاً ما تخلت عن شعور التوتر، وبعد وقت قليل كانت تشجع ليزا على الجري، وتظهر الانزعاج عندما ترفض الفرس المطيعة الانصياع لرغباتها.

في الغابة، تحت القصر، كان الهواء لا يزال حاراً ومنعشاً. ولكن عند سفوح الجبل، كانت الشمس، ترسل أشعتها فوق العشب فتجعله لامعاً. وقادهما طريق عبر الغابة إلى جلول من الكرمة مثقلة بالعناقيد المليئة بالعصير. . . فدادين واسعة من الغرسات المنتجة للعناقيد تنشر غطاء فوق الأرض المنحدرة، يرعاها حفنة من العمال يسهرون على سلامة النبتات وخلوها من الحشرات والأمراض، قبل أن يأتي وقت جمع المحصول، وقال لها راوول:

ـ ألا تعلمين أن ثاني أوكسيد الكاربون في الهواء هو الذي يؤثر على الأوراق، وفي النهاية يوفر السكر في العناقيد؟

وكانا قد أوقفا جواديهما، ونزلا عنهما سائرين بين الممرات في الكرم. وأشار إلى براعم ظاهرة على ساق الكرمة:

ـ انظري، من المهم أن لا يسمح للعناقيد بأن تمتص الكثير من السكر قبل أن تنضج، ولكي ينجح الموسم يجب أن نفحص بشكل مستمر مستوى السكر، في الثمرة. وهذه الأيام، شكراً لله، هناك وسائل حديثة لتحقيق النتائج المطلوبة. ولم تكن الأمور سهلة هكذا من قبل.

ـ أعتقد أنكم لم تعودوا تعصرون العنب بالطرق البدائية، دوساً بالأقدام.

وكافأها راوول على كلامها بابتسامة جذابة.

ـ للأسف لا. . ولكن إذا كنتِ هنا وقت الحصاد، فقد أتمكن من. . .

وأشاحت جولي بنظرها عن المشاعر التي لا يمكن إنكارها والتي برزت في عينيه السوداوين. هذه اللحظات كانت مشحونة بالخطر.

ولكي تتخلص من تسارع نبضاتها، تقدمت إلى أقرب مكان ظليل، مبني من الخشب. وكان فارغاً، وفيه بعض الصناديق الفارغة، بقيت من حصاد السنة الماضية.

ـ يجب أن نعود الآن.

صوت راوول من ورائها جعلها تستدير مجفلة:

ـ ما تعنينه أننا لا يجب أن نعود. . .

وتجاوزته خارجة إلى الشمس، ولكن الشمس الساطعة هذه المرة لم تستطع أن تبعث الدفء فيها.

●●●

٧ ـ كيف أسامحك؟

في وقت لاحق ذلك اليوم، انفردت انيتا مع جولي وأصرّت على أن ترافقها في جولة تسوّق إلى قرية «ڤاغيو راڤينو»، وسألتها:

ـ عن ماذا تكلمتما؟

ـ عن أمور مختلفة.

وبالفعل كانت جولي تجد صعوبة في تذكر ما تحدثا به بالضبط. ولم يرتح ضميرها عندما لاحظت أن انيتا لم تظهر أي أثر للغيرة، بل على العكس، بدت مسرورة لأن راوول غيّر رأيه ورافقها، ولكنها كانت خائبة الأمل، لأن جولي لم تستفد من هذه الفرصة للتحدث مع راوول حول مشاكلها.

ـ أعتقد أن من الغريب أن تتمكني أنت وراوول من قضاء وقتكما معاً.. أعني بعد هذه السنين. أنا أعرف أنه لن يتمكن من مقاومة إغرائك.

ـ أنيتا!

ـ لا يجب أن تبدي مصدومة هكذا يا جولي، أنا لا أقصد أبداً أن هناك شيئاً معيباً...

ـ أتمنى هذا!

ـ ولكن.. عليك أن تعترفي أنك لا زلت تجدينه جذاباً.. أليس كذلك؟

ـ لأجل السماء يا انيتا!

ـ حسناً. هذا أمر حقيقي. اختيارك أن تتنكري لأنوثتك لا يعني أبداً أنك صممتي على الرهبة يا جولي.

ـ لا.. لا يعني هذا، ولكن ليست حياتي خالية من العلاقات الاجتماعية، حتى ألتفت لزوج فتاة أخرى للتسلية!

ـ أوه يا جولي! أنا لا أشير إلى أنك قد تفكرين بإقامة علاقة مع راوول. أنا أحاول أن أكون واقعية فقط. على كل الأحوال إذا أصبحت أنت وراوول أصدقاء، يمكن أن يصبح حديثك معه من أجلي أسهل بكثير.

ـ أنت مقتنعة حقاً، أنه بإمكاني إقناع راوول.. أليس كذلك؟

ـ دون سائر الناس.

ـ وإذا رفض التحدث معي بالأمر؟

ـ ستجدين طريقة.

ـ أنيتا، قد لا أتمكن من هذا.

ـ إذا كنت تهتمين بي فستفعلين.

ـ إنها ليست مسألة اهتمام. متى كانت آخر مرة حاولتِ فيها التحدث معه؟

ـ لست أدري، بالأمس، الأسبوع الماضي، ماذا يهم؟ لقد قلت لك...

ـ لا أستطيع التصديق بأنه عنيد هكذا...

ـ وكيف لك أن تعرفي؟ هل سألتيه؟

www.elromancia.com

ـ انيتا استمعي إليّ . . .

ـ لا . . أنت استمعي إليّ، أخشى يا جولي، أنني أؤمن بأن راوول تزوجني، ليعاقبني فقط.

ـ هذا أمر سخيف يا انيتا!

ـ وهل هو سخيف؟ بعض الأحيان أعتقد أنه لا يهتم بي أبداً.

واستقامت جولي في جلستها إلى طاولة المطعم حيث تجلسان. وتابعت انيتا تناول ما تبقى من طعامها.

ـ قد تظنين بأنني آكل كثيراً أيضاً، ولكن ألا يقولون بأن الأكل هو أحياناً نوع من التعويض.

ـ لن يساعدك لو أنك زدت من وزنك، أليس كذلك؟

ـ وزني لم يزد بعد، وقوامي لا يزال كما هو!

ـ طبعاً أنتِ لم تخسري جمال قوامك بعد، ولكن . . .

ـ قد لا يرغب بي عندما أصبح سمينة!

ـ كل ما أحاول قوله . . .

ـ كل ما تحاولين قوله إن عليّ أن أتابع في الاستسلام لأنانية راوول. هل تستطيعين مثل هذا؟ هل تستطيعين أن تعيشي كما أعيش؟

ـ نحن لا نتحدث عني.

ـ لا . . هذا صحيح، ولكن ربما يجب أن نتكلم عنك. ربما يجب أن نفكر بالأسباب التي تدفعك لعدم الرغبة في مساعدتي.

ـ أنيتا!

وتطلعت جولي بعيني أنيتا بغضب، وكأنما أدركت بأنها قد تمادت كثيراً فتغير التعبير على وجهها، وقالت لجولي:

ـ أنا آسفة . . آسفة. لم أقصد هذا . . لم أقصد. أعرف أنك

تفكرين بي، ولكنك لا تعرفين ما هي حياتي . .

ونهضت جولي عن كرسيها:

ـ أنا لن أعدك بشيء.

ـ ولكنك ستفكرين بالأمر.

ـ أنا أفكر فعلاً.

كان العشاء وجبة خفيفة تلك الليلة . . ولاحظت جولي أن انيتا كانت تحاول جهدها أن لا توتر الجو، وبدا راوول مستغرقاً في تفكيره.

وبعد أن انتهت الوجبة، قال قبل أن يترك الفتاتين تتناولان قهوتهما:

ـ لقد اتصلت أمي بعد الظهر، ودعوتها لقضاء بضعة أيام معنا، أثناء وجود جولي، وبما أنها تعرف المنطقة مثل ما أعرفها بالضبط. أعتقد بأنكما سترحبان بها بديلاً عني، إذ عليّ السفر غداً إلى روما.

ـ لا! . .

ووقفت انيتا على قدميها قبل أن يكمل كلامه، ثم، وكأنما أدركت أن احتجاجها قد يساء فهمه، أضافت:

ـ أعني . . أنني سأجيء معك إلى روما. أنا وجولي. وأنا . . أنا واثقة بأننا سنتمتع . . .

ـ لا أظن هذا. لقد دعوتي جولي لقضاء عطلة هنا يا انيتا. ولا أظن أن شوارع العاصمة الحارة هي المكان الذي ستتمتع به.

ـ لا تكن سخيفاً يا راوول، لا يمكن لك أن تنتظر من جولي أن ترتاح بصحبة والدتك . . . إنها امرأة عجوز!

وكان على جولي أن تتدخل، ولكن ليس بالطريقة التي توقعتها انيتا.

www.elromancia.com

ـ أنيتا، صدقاً. . . سأنتظر بفارغ الصبر أن ألتقي مع السنيورا دي ڤيلانو. . أرجوك لا تزعجي نفسك بسببي.

ورمقتها انيتا بنظرة مجنونة، وعيناها الزرقاوين الصافيتين تلمعان بدموع لم تكن مخفية. وبدأت جولي ترتاب بأنها لم تحسن تقدير حالة توازن انيتا، فحتى هذه اللحظات لم تكن تدرك مدى عدم استقرار أعصاب هذه المرأة. وبدا لها فجأة أن تهديدات انيتا بالانتحار ليست بعيدة عن التصديق، وقال راوول غير مكترث بانزعاج زوجته:

ـ مهما يكن الأمر، لقد تمت الترتيبات، وسوف نلتزم بها. وحان الوقت لتهتمي بشخص آخر غير نفسك، ووالدتي كانت صبورة معك جداً في السابق.

وارتجفت شفتا انيتا:

ـ لا أريدها هنا! لا أريد هذه العجوز الكاذبة هنا! إنها تكرهني، وأنت تعرف، لماذا تفعل هكذا معي لمتؤلمني؟

ورد عليها راوول بصوت حاد بارد كالثلج:

ـ لأؤلمك؟ أنت لا تعرفين معنى هذه الكلمة!

ولاحظت جولي أن انيتا تترنح الآن بشكل ظاهر وخافت أن يجر غضب راوول صديقتها إلى حافة الانهيار فقالت:

ـ أوه. . أرجوكما. . . أنا واثقة أن أنيتا لا تعني ما تقول، إنها منزعجة، هذا كل شيء. إنها مضطربة! وأنا واثقة. . .

وقال راوول بحدة، وهو يتوجه نحو الباب:

ـ لا تتدخلي في هذا يا جولي. ! أنت لست من العائلة! وليس لك الحق بالتدخل بأمور لا تعنيك. أرجوك أن تبقي آراءك لنفسك. . فأنت لا تعرفين شيئاً!

وصفق الباب وراءه، وراقبت جولي انيتا وهي تعود إلى الجلوس في مقعدها، ولم تكن تدري من منهما يشعر بالأسوأ.

صحيح أن انيتا كانت ترتجف، وأصابعها تتشابك ثم تنفلت، مظهرة اضطراب مشاعرها، ولكن المشاعر التي اجتاحت جولي لم يكن ممكناً أن تكبحها. فقد شعرت بالغثيان، والدوار، وقد صدمها الألم من صده لها.

وتأوهت انيتا قائلة:

ـ لا فائدة من الأمر. . . لا فائدة. . .

وأعادت هذه الكلمات انتباه جولي إلى حيث هي وإلى ما يحدث. فمهما كان شعورها، يجب عليها أن تهتم بمشاعر انيتا، فجمعت قواها وقالت بهدوء:

ـ ما هو. . الذي لا فائدة منه؟ انيتا لا يجب أن تتركي هذه النقاشات تكدّرك. فكل المتزوجين لديهم خلافاتهم، ولا يمكن أن تكون والدة راوول سيئة إلى هذه الدرجة.

ـ إنها سيئة. . سيئة، إنها تكرهني!

ـ لا تكوني سخيفة، فالحموات لا يكرهن زوجات أبناءهن، قد لا يتوافقن تماماً. . .

ـ نتوافق؟ جولي أنت لا تعرفين شيئاً. إنها امرأة فظيعة سوف تقلبك ضدي أنت أيضاً.

ـ لن تستطيع. . ماذا تقولين؟ هل تحاولين القول إن أمه هي التي قلبته ضدك؟

ـ أجل. . أجل. . أوه يا جولي، ماذا سأفعل؟ إذا ذهب راوول إلى روما وبقيت أنت هنا، فكيف ستتمكنين من التحدث معه؟

ـ لن يبقى في روما إلى الأبد، أليس كذلك؟

- أتعنين . . أنك ستبقين؟ ولكنني ظننت أنك قلت . . .

- صحيح . . ولكن بإمكاني أن أبقى اسبوعاً آخراً.

- اسبوع؟ اوه يا جولي لن تعرفي أبداً كم أنا شاكرة لك! انتظري إلى أن يعرف راوول هذا! سيكون . .

- غاضباً؟

- لا . . ولماذا يغضب؟ لقد طلب حضور أمه لأجلك، أو هكذا قال.

- حسناً أنا تعبة، سأذهب إلى الفراش . . سأراك في الصباح.

وراقبتها جولي وهي تخرج . . وقد حلّ تعبير الارتياح مكان التعبير الهستيري السابق، وحسدتها لمقدرتها على تغيير مزاجها بهذه السرعة. فهي لا تستطيع التصديق بأنها منذ دقائق كانت تتأرجح على حافة الانهيار العصبي. وأدركت جولي مدى حرج الوضع الذي تتعايش معه وبدا أن الأمور لن تتحسن أبداً.

في اليوم التالي، قررت جولي أن تتجول قليلاً حول القصر، بعد أن أعلنت انيتا رغبتها في الراحة بعد الغداء. والتقت بالسائق بيدرو كازولي في الباحة، فعرض عليها مرافقتها، وقال بمرح:

- دون توتر . .

ورفع يديه عندما ظهر على وجه جولي تعبير متشكك حول مدى أمانته، وأعجبتها إشارته فوافقت.

وتركا القصر وراءهما، متسلقين سفح جبل قريب ينفجر نبع عند حافته. حول الصخور القريبة منه كانت تنمو الطحالب، فتجعل المكان منزلقاً، وخلعت جولي حذائها، وغمست قدميها في المياه الباردة. من هنا يمكن رؤية امتداد الوادي كله، وجلست على حافة صخرة ورفعت ركبتيها، فقال بيدرو بهدوء:

- يبدو عليك التوتر. هل هناك شيء خاطىء؟ تبدين مشدودة الأعصاب. ألا تتمتعين بعطلتك هنا؟

ونظرت إليه جولي بسرعة:

- ماذا؟ أوه . . أجل . .

ولم تكن ترغب في التورط بأحاديث شخصية ثانية، فأكملت ببرود:

- كنت أتمتع بالمناظر. إنها رائعة تماماً.

- إنها هادئة، والكونت أفضل شخص يقدّر هذه المناظر.

ورفضت جولي أن تلتقط الطعم. وأشارت إلى المنحنى الذي يرتفع نحو التل على يمينهما.

- هذه هي الطريق إلى سانتو جيستينو أليس كذلك؟ هناك كاتدرائية جميلة هناك، وأعتقد أنك تعرف هذا، فأنت عشت هنا طوال حياتك.

- وكيف تعرفين أين عشت طوال حياتي؟ هل قالت لك انيتا؟

- أنيتا؟ . . لا . . لماذا، لماذا تظن أنها تتكلم عنك؟

فهز كتفيه دلالة عدم الاهتمام:

- حسناً . . إنها لا تستطيع الكلام مع الكونت . . أليس كذلك؟

- لماذا لا تستطيع، وما هو الأمر الذي . . لا تستطيع التحدث به مع الكونت؟

- حول المشروب التي اشتريه لها بالطبع سنيوريتا.

ولكن جولي، تملّكها شعور أنه لم يقصد هذا، وهزّت رأسها، ثم أراحت ذقنها على ركبتيها، وفكّرت لماذا يزعجها تصرف بيدرو تجاه انيتا هكذا، فلو أن راوول يشك بأي شيء بين زوجته وسائقه الوسيم، لكان صرفه من العمل منذ زمن طويل، ويبدو واضحاً من

www.elromancia.com

تصرفات بيدرو أن هذا ليس وارداً. فالرجل شديد الثقة بنفسه، وتساءلت في نفسها لماذا وافقت على صحبته؟ وسألها:

ـ لديك وظيفة في انكلترا سنيوريتا؟ دعيني أحزر: أنت عارضة أزياء.. لا؟

ـ أنا عارضة أزياء.. لا... في الواقع أنا موظفة في مكتب. وهذا ليس شيئاً مبهجاً، كما أخشى.

وأطرق بيدرو:

ـ أوه.. هذا مؤسف.. يمكن أن تكوني عارضة أزياء رائعة، كما أظن.

فردت عليه بحدة:

ـ وأنت كذلك.

وأتت ضحكته عالية وطبيعية. وقال:

ـ أظن أنك ربما تؤمنين بالمساواة بين الرجل والمرأة. سنيوريتا، فهل هذا سبب عدم زواجك؟ لا يمكن أن أصدق أن رجلاً لم يطلبك للزواج من قبل.

ـ وكيف تعرف أنني لم أتزوج من قبل؟ أو مطلقة؟ ربما أكون هذا، فأنت لا تعرف.

فرفع كتفيه معترفاً:

ـ هذا صحيح.. ولكن لا أعتقد أنك كنت متزوجة سنيوريتا. ربما لك عشيق، أجل، ربما، أكثر من واحد، ولكن لا زوج.

وقفزت جولي على قدميها فجأة مسيطرة على غضبها قدر الإمكان، فآخر شيء تريده أن يذكّرها أحد بعلاقتها مع راوول، وعينا بيدرو كانتا لئيمتين كثيراً، وفيهما كثير من المعرفة. وخطر في ذهنها أنه قد يكون يرتاب بشيء ما، وكان هذا إضافة إلى كثير غيره

يستوجب عودتها إلى القصر فوراً.

مع دخولهما إلى باحة القصر، كانت الكونتيسة دي ڤيلانو تنزل من سيارتها التي تقودها بنفسها، سيارة مرسيدس قديمة الطراز، ولكن في حالة ممتازة، وبدت قصيرة، مليئة الجسم قليلاً وفي متوسط العمر. وتمتلك حضوراً رائعاً، ولمعت عيناها السوداوان، لمشاهدة جولي وبيدرو المحمري الوجه اثر تعبهما من السير. وأذهلت جولي نظرة العداء التي ظهرت على وجه والدة راوول، وتوترت أعصابها لأنها تعلم أن العجوز تعرف تماماً من هي، وكان ممكناً لها أن تتذكر. على كل، هو من أرادهما أن تلتقيا، ولكن إذا كانت أمه تكره علاقتهما السابقة كما فعل هو، فلماذا دعاها إلى هنا في مثل هذا الوقت؟

ـ أنت السنيوريتا فولروك.. أليس كذلك؟

ـ أجل يا كونتيسة.. كيف حالك؟ هل كانت رحلتك مريحة؟

ـ أنا أحب قيادة السيارة.. هكذا التقينا أخيراً. أنت لست كما تخيلتك أبداً.

ـ أنا آسفة لهذا.

ـ لا تأسفي.. فأفكاري عنك لم تكن لطيفة أبداً سنيوريتا.

ولكنني مجبرة على القول إن راول لم يبالغ بوصف جمالك.

ـ شكراً لك.

ـ هذا ليس إطراء يا سنيوريتا، لقد كنت أعلّق فقط على أسباب تعلق راوول بك.. إنه تعلق دمّر حياته، وهو لا يزال يدفع الثمن!

وقبل أن تستطيع جولي الرد على كلمات الكونتيسة التي تدينها، استدارت الكونتيسة مبتعدة، متجاهلة سخطها الذي أبدته بفتح فمها وأشارت إلى جوليانو ليحضر حقائبها، وقالت وهي تصعد سلم

القصر وراء الخادم:

- كيف حالك.. أين السنيورا؟

وتبعتهما جولي ببطء، غير راغبة في أن تشارك في الاستقبال الذي سيجري بين انيتا وحماتها. ولكنها اعترفت لنفسها بأن صديقتها على حق: فوالدة راوول لا توافق ابنها أبداً على ذوقه بالنساء.

وشعرت بالراحة لعدم رؤيتها للزائرة عندما دخلت القصر فلا بد أن جوليانو قد أخذ سيدته الكبيرة إلى غرفتها. وهكذا صعدت هي أيضاً إلى غرفتها.

العشاء كان سيقدم عند الثامنة كالعادة، وحضّرت جولي نفسها بحماسة أقل من حماسة الليلة الماضية، فلقاء والدة راوول بحضور انيتا لن يكون سهلاً. وصممت على أن لا تترك العجوز ترهبها ثانية. ونظرت إلى نفسها في المرآة قبل أن تخرج من الغرفة، وتصورت بأنها تبدو هادئة ومحنكة، مع قليل من مظاهر الاسترجال، ولكنها لم تكن تدرك أن ثنايا جسدها الجميل لا تترك أي مجال للشك في نفس أي إنسان حول جنسها. ولكن، هكذا ستحقق هدفها بإقناع والدة راوول أنها وجدت النجاح الذي كانت تسعى إليه على حساب ابنها.

بعد ثورتها الليلة الماضية، بدت انيتا مستكينة بأدب. ولم تظهر أي اهتمام بحماتها، وما كدن يتركن غرفة الطعام، بعد العشاء، حتى عرفت جولي السبب، فقد كانت انيتا تشرب. وتجاهلت انيتا شهقة الاستغراب التي بدت من جولي، وأمسكت بيدها وهزتها، مبتسمة، ثم تبعت حماتها إلى المكتبة، ولكن بعد تأكدها من وجود صينية القهوة، اعتذرت لبضع دقائق، ومضت ربع ساعة، وعرفت

جولي أنها لن تعود.

وقالت والدة راوول لجولي، بعد أن لاحظت بأنها تستمر في النظر نحو الباب:

- ليس عليك أن تبقي هنا سنيوريتا، اذهبي، افعلي ما شئتِ. سأكون راضية ببقائي هنا. لقد جلبت معي تطريزي، أترين؟ الخياطة تسلية للمرأة العجوز، وهو أمر لا ترغب واحدة في مثل ذكائك أن تفعل مثله.

وتنهدت جودي وردت عليها:

- لدي انطباع بأن من هن مثلي، وفي ذكائي، لا تنظرين إليهنّ بارتياح يا كونتيسة؟

- وهل لاحظتي هذا سنيوريتا؟

وانحنت العجوز لتفرش غطاءاً أبيضاً، وأخرجت لفّة من الخيوط الحريرية من حقيبة أمامها.

- لم أقصد بكلامي الانتقاد، كنت فقط أقرر أمراً واقعاً.

- كنت أطرز في الماضي. عندما كنت صغيرة يا كونتيسة. والدتي وأنا كنا غالباً نخيط ثيابنا بأنفسنا.

- حقاً؟ أنت تدهشيني يا سنيوريتا، لقد ظننت أنك وجدت طريقة أخرى لشراء ملابسك. هل الرجال عمي في انكلترا؟

- هذا كلام عدواني. لا أعرف ماذا تقصدين به سنيوريتا، ولكن الفتيات في بلادي لا يبعن أجسادهن عادة من أجل الطموح! والدتي وأنا، كنا فقيرتين، وهذا صحيح، بعد أن تركنا والدي لم يكن من السهل علينا أن نتدبر أمرنا، ولكن حسب علمي، لم تكن أي منا يائسة لدرجة أن تعرض نفسها في الشارع!

لا بد أن عنف دفاع جولي أثّر كثيراً على الكونتيسة، فعندما

حاولت جولي أن تقف، وضعت الكونتيسة يدها على كم ثوبها وقالت:

ـ انتظري يا سنيوريتا، أنا آسفة، لم يكن يجب أن أقول هذا، وأطلب منك السماح، لا بد أن تعذري لهفة أم عجوز على ولدها. من الصعب عليّ أن أسامحك، ولكن بما أن راوول قد سامحك، فعلى الأقل يجب أن أحاول.

ـ لست.. أدري ما تعنين.

ـ أوه.. أظن أنك تدرين. لا يمكنك الادّعاء بأن الماضي لم يكن. وأخبرني راوول كل شيء. ويمكنك أن تعرفي أنك لو لم تتخلي عنه لما كان الأن يعاني نتائج ردة فعله.

وشعرت جولي بارتخاء في أطرافها، ولكن ذهنها ولسانها بقيا قويين، وانتقت كلماتها بحذر وهي ترد:

ـ أنا لم أتخلى عن راوول يا كونتيسة، هو من تخلى عني.

ـ ما هذا الكلام السخيف؟ هل تقولين بأن ولدي كاذب، سنيوريتا؟ لقد قال لي بنفسه إنك رفضت الزواج منه.

ـ أوه.. أجل.. أجل أعتقد أنني فعلت هذا، ولكن هذا لا يعني أنني...

ـ بالنسبة لابني يعني الكثير، فنحن عائلة فخورة سنيوريتا. هل تعتقدين بأن راوول كان سيقبل العيش معك دون بركة الزواج؟

ـ أعرف بأنه لن يفعل.

ـ إذاً، لقد اخترتِ أن تعاقبيه لأنه رجل شريف.

ـ ليس الأمر هكذا، أنت لا تفهمين يا كونتيسة. أردت أن أكون مستقلة. أردت أن أثبت أنني قادرة على إعالة نفسي مثل أي رجل. ولقد أثبتت هذا. فلدي عمل جيد، ومستقبل جيد...

ـ من دون حب! عجباً.. هل الأمر يستحق؟

وتفرست جولي بها:

ـ أظن هذا.

ـ إذاً أنت مغفلة!

وغرزت الإبرة في القماش بغضب وتابعت:

ـ أرى الآن ما رآه ولدي فيك.. لماذا أرادك، بدلاً من هذه المخلوقة التي ليس لديها إيمان، لديك الكبرياء والأمانة، ولن تخوني مبادئك، وتختاري الطريق السهل في الحياة، ولكنك غبية مع ذلك. وعاجلاً أم آجلاً ستدركين هذا!

●●●

٨ ـ لماذا أتيتِ؟

على الرغم من الخلافات العميقة بينهما، بدأت مشاعر جولي نحو والدة راوول تلين بالتدريج خلال الأيام التي تلت. ولأن أنيتا اختارت أن تبقى في الفراش معظم الصباح وحتى وقت الغداء، فقد وجدت جولي نفسها تلازم الكونتيسة العجوز معظم الوقت، وكي لا تزيد الوضع توتراً، حاولت أن تبذل جهدها لتبدو ودودة معها. فهي لم تكن موافقة على الطريقة التي تتصرف بها انيتا. وصارحتها بالأمر، ولكن أنيتا بدت في أسوأ حال، وكان على جولي أن تغطي تصرفاتها.

ومع أن جولي لم تكن تظن أن أم راوول مستعدة للقيام بدور الدليل لها إذا أرادت التجول في توسكانا كما قال ابنها، إلا أن الكونتيسة بنفسها عرضت أن تأخذ جولي حيثما أرادت.

ـ أنت تقودين سيارة، أليس كذلك سنيوريتا؟

وأجابتها جولي بالإيجاب، فهزّت الكونتيسة رأسها برضى:

ـ إذاً يمكنك أن تقومي بدور السائق. فأنا لا أقود السيارة إلا في الحالات الاضطرارية، وأفضّل أن أجلس في السيارة دون قيادتها.

ـ أنا متأكدة أن بيدرو...

كانت على وشك أن تقترح أن راوول قد يفضّل أن يقود سائقه السيارة بدلاً منها... ولكن الكونتيسة قاطعتها:

ـ لن أسمح لذلك الشاب بأن يقود السيارة بي إلى أي مكان.

ثم أضافت بسخرية:

ـ ولكن إذا كنت تفضّلين هذا...

ولم ترغب جولي أن تعلق بهذا الفخ فسارعت للقول:

ـ لا.. لا.. لقد فكّرت فقط...

ـ عندما يكون الأمر يتعلق ببيدرو كازولي، أنصحك بعدم التفكير. والآن، أين سنذهب في أول نزهة لنا؟

وهكذا، ذهبتا إلى سينيا، وزارتا الكاتدرائية هناك، ومعرض الفنون، وقصر «بلازو بوبليكو» حيث تسلقتا البرج لتنظرا إلى الضواحي المحيطة، وأحبّت جولي البلدة، وأحبّت الناس فيها، وأعجبها أكثر الفن المعماري والهندسي الذي جعل من سينيا بلدة شهيرة.

ولم تكترث أنيتا بحماس جولي عندما عادت إلى القصر، وقالت لها، بعد أن ذهبت والدة راوول للراحة.

ـ كيف يمكنك قضاء هذا الوقت الطويل مع هذه العجوز الفظيعة؟ أنوي الاتصال براوول لأعرف متى سيعود، فلن أطيق أن أُعامل كضيفة في منزلي!

ـ أظن بأنك تستحقين كل ما يحدث لك، فأنت لم تجرّبي أن تتفقي معها، أليس كذلك؟ أما بالنسبة للسماح لها بإعطاء الأوامر للخدم... فأنت لا تهتمين بالمسائل المنزلية.

- لقد قلت لك، الخدم منقلبون ضدي.

وهزت جولي رأسها مجيبة:

- أظن أنك أنت من قلبتيهم ضدك، فمن الواضح أنك لا تحبينهم، وتتركينهم يعرفون ذلك. لو أنك...

- إذاً، لقد انقلبت ضدي أيضاً!

وانفجرت أنيتا بالبكاء.

- كنت أتساءل كم سيطول الأمر قبل أن تنقلبي ضدي. ماذا قالت لك هذه العجوز؟ ماذا قالت لك عني؟ إنها تكذب، كلها أكاذيب، إنها كانت دوماً تكرهني.. دوماً!

- اهدأي.. اهدأي. أنا لم أنقلب ضدك يا انيتا. لا تبدأي بقول هذا ثانية. كل ما أشير إليه أنك لم تحاولي التوافق مع حماتك.. أليس كذلك؟

- ولماذا أفعل؟ أنا أعرف ماذا تفكر بي. وأعرف لو أن الطلاق ممكن في ديانتهم، لشجّعت راوول عليه. ولكن الطلاق هنا ليس مقبولاً. والزواج لا يمكن أن يفسخ في حال حصول إجهاض واحد، أليس كذلك؟ لا.. راوول مضطر للبقاء معي. والأفضل له أن يعرف هذا.

- ماذا تعنين؟

أزعجتها لهجة الحقد في صوت انيتا. كانت وكأنها تحاول التلميح إلى شيء ما. ولكنها لم تستطع تصور ما هو.

وأجابتها انيتا، وقد قررت أنها قالت ما فيه الكفاية:

- لا يهم. أنا ذاهبة إلى غرفتي، لماذا لا تأتين معي؟

- لا.. شكراً.

وبقيت جولي حيث هي، عدم اكتراث انيتا الواضح بكل شيء أشعرها بالألم، وقالت لها انيتا وهي تسير نحو الباب:

- كما تشائين. ولكن لا تلوميني على ما أنا عليه. بل لومي هذا الوغد المتكبر الذي هو زوجي، لوميه على الورطة التي أنا فيها!

- أية ورطة؟

- وماذا تظنين؟

- أتعنين.. شربك؟

- وما غيره!

وفتحت الباب، وخرجت.

في الأيام التي تلت، خرجت جولي مع والدة راوول، وتجولتا في القسم الشمالي من توسكانيا. فزارتا «ايمبولي» و«سيرتالدو» و«بوغيبوتسي» وميناء «بيومبينو» الذي يؤدي إلى جزيرة «البا». ولكن المكان المفضل لجولي كان «فلورنسا» مركز حضارة أوروبا لمئات السنين، حيث توجد بعض أكبر الأعمال الفنية. اليوم الكامل الذي أمضيتاه هناك لم يكن كافياً لتزورا جميع المتاحف والكنائس، والقصور والمعارض الفنية.

في ذلك اليوم، صممت جولي أن تتحدث إلى الكونتيسة بخصوص زوجة ابنها. وعندما اقترحت الكونتيسة أن تذهبا إلى أحد المقاهي حيث تتناولان فنجان شاي وترتاحان، اغتنمت جولي الفرصة، فقالت:

- كم من المؤسف أن لا تكون انيتا معنا.

ولكن الكونتيسة رفضت أن تبتلع الطعم فتحدثت بموضوع مختلف:

- لا أظن بأنني سرت طويلاً هكذا منذ أن كبر ولدي الصغير...

ولكنني تمتعت بالسير اليوم يا جولي. وأنا شاكرة لك من أجل هذا.

ـ أوه أرجوك...

وسرّت جولي لأن محاولتها زج اسم انيتا لم يجعل الكونتيسة تعود لمناداتها رسمياً بسنيوريتا. فمنذ يومين إلى الآن وهي تناديها جولي، وهكذا كانت علاقتهما قد أصبحت دافئة.

ولكن، من الصعب التظاهر أن انيتا ليس لها وجود، فتنفست جولي عميقاً، وحاولت ثانية:

ـ إنها ليست سعيدة، وأنت تعرفين هذا، أتمنى لو تحاولين فهم حالتها يا كونتيسة.

إنها تحاول أن تتصرف بشكل صحيح.

ـ هل تظنين هذا؟

ولمعت عينا الكونتيسة، ثم وكأنها أدركت أن صداقتهما قد وصلت إلى أبعد من المعرفة العادية، أضافت:

ـ لا أريد أن أتشاجر معك يا جولي. الأيام التي مضت كانت مدعاة سعادة لي، أكثر مما كنت أتصور. فلا تفسديها بالتحدث عن انيتا. إنها لا تهمك بشيء. للأسف، إنها مشكلة راوول، وراوول وحده. الأمر عائد إليه ليقرر ماذا سيفعل بها.

ـ وماذا يجب أن يفعل بها؟ أخشى أنني لا أفهم!

ـ ولكنك تعرفين ما بها.. أليس كذلك؟

وبلّلت جولي شفتيها بلسانها:

ـ وما بها؟

ـ لا تكذبي عليّ يا جولي.. أنت هنا منذ... أسبوع؟ ثمانية أيام؟ بالتأكيد روت لك انيتا، خلال هذا، أسرارها، أنت أفضل صديقة لها.

ـ ربما..

ـ إذاً، ما الذي يمكن أن يقال أكثر؟

ـ أتعنين أن راوول يعرف أيضاً؟

ـ وهل تشكّين في هذا؟ مهما كانت صفات ولدي، فليس من بينها الغباء. وبالطبع يعرف. أتصور أن القصر كله يعرف.

وأمسكت أصابعها بطرف الطاولة بقوة وأردفت:

ـ لن أسامح زوجي.. أبداً!

ـ زوجك؟ أخشى أنني لم أفهم ما دخل زوجك؟ لقد توفي منذ زمن بعيد.

ـ إنها خطايا الآباء.. أنت تعرفين المثل، بالتأكيد. ولا يمكن أن يكون المثل أصدق مما هو عليه في هذه الحالة.

مهما ستكون النتيجة، على جولي أن تحاول لمصلحة انيتا مرة أخرى:

ـ ألا تظنين أن على راوول أن يمنحها فرصة أخرى؟

ـ فرصة أخرى؟ ماذا تقولين؟ هل عليه أن يسامح وينسى؟ أوه لا سنيوريتا، أنت تطلبين الكثير. عندما.. مات الطفل، كان من الممكن أن يسامحها يومها. ولكنها لم تقنع. وعليها الآن أن تلوم نفسها للنتائج.

ـ ولكن هل الأمر سيء في أن ترغب بطفل. كنت أظن أنك...

ـ وهل تسألين عن هذا؟ يا إلهي.. خذيني إلى المنزل سنيوريتا لا أرغب في متابعة هذا النقاش.

وصل راوول إلى المنزل عند المساء. وتمنت جولي لو أنه لم يختر هذه الأمسية للعودة، فالجو كان بارداً بين النسوة الثلاث،

وشعرت بالأسف لهذا بعد الأيام السعيدة التي قضتها مع الكونتيسة. ولكن، ما من شك في أن راوول قد يرتاب كثيراً فيما لو عاد ووجد أن والدته وجولي من أفضل الأصدقاء.

خلال تناول العشاء، تحدث بشكل خاص تقريباً مع والدته، وارتاحت جولي لهذا. ولكن بعد انتهاء الطعام، لم يذهب للراحة كعادته، بل انضم إلى جولي ووالدته في غرفة الجلوس ليشرب القهوة، وانضمت إليهم انيتا، التي ظلت صامتة طوال العشاء. وتناولت فنجان القهوة الذي قدمته إليها حماتها، بأدب مفتعل، كانت طوال السهرة ترمي العجوز بنظرات حاقدة. ولكنها جلست الآن برزانة طفلة في ضيافة خاصة ومظهرها البريء يخفي ما يكمن تحته. وسألت راوول:

- هل كانت رحلتك موفقة؟

- بطريقة معقولة.

وكان واضحاً أنه لا يريد أن يتابع هذا الحديث، وكأنما فهمت انيتا هذا فغيّرت الموضوع:

- لقد اشتقنا إليك.. لقد كانت جولي بالأمس تقول إن القصر يبدو فارغاً من دونك، ومن المؤسف أنك اضطررت إلى السفر، في وقت كنت أنت وهي تبدآن بمعرفة بعضيكما من جديد.

ولم تدرِ جولي من كان المحرج أكثر، راوول، الكونتيسة أم هي. وليس صحيحاً أنها قالت هذا، وانيتا تعرف. فلماذا تكذب مثل هذا الكذب الصريح؟ وقال راوول أخيراً:

- أظن بأنك تبالغين يا انيتا، فأنا واثق أن الآنسة فولروك لم تقل شيئاً كهذا.

- ولماذا تدعوها الآنسة فولروك؟ أنت دائماً تناديها جولي. من

الغباء أن تدعوها باسم آخر بعد ما كان بينكما.

- انيتا!

- انيتا!

جولي وراوول صرخا معاً، ولكن انيتا لم تتراجع:

- لا تتظاهرا بأنكما مصدومان هكذا. كلنا نعرف بأنني أقول الحقيقة. وأين الضرر بهذا؟ فأنا لا أشير إلى أن بينكما شيء الآن.

ولكن هذا ما كانت تقصده، وجولي تعرف هذا، واستطاعت أن تلاحظ من تعابير الكونتيسة أنها انزعجت من تصرفات انيتا، ومع أن راوول كان صارماً أكثر في إخفاء مشاعره إلا أن غضبه على زوجته بدا واضحاً.

وابتسمت انيتا وتابعت:

- على كل.. لقد عدت الآن، وهذا ما هو مهم، أليس كذلك؟

وأنهت فنجان القهوة ووضعته على الطاولة:

- هم.. لقد كان لذيذاً، ولكنني أظن أن عليّ الذهاب إلى غرفتي الآن، فأنا تعبة.. عمتم مساءً.

وانصرفت بصمت، وبعد أن أغلقت الباب وراءها، ساد الصمت. ولكن، بعد ذلك، وكأنما هي أيضاً تعبت فجأة، نهضت الكونتيسة واقفة. وقالت بالإنكليزية إكراماً لجولي:

- سنتحدث بالأمر صباحاً.

ووقف راوول ليفتح الباب لها وقال:

- أمي...

فوضعت الكونتيسة يدها على ذراعه:

- لا بأس.. لا بأس.. ليس الأمر مهماً.

- لا؟ ليلة طيبة ماما.

ـ ليلة طيبة يا عزيزي . . ليلة طيبة يا جولي .

ووقفت جولي بينما كان راوول يغلق الباب

ـ أعتقد أن عليّ أن أذهب أيضاً . أنا آسفة . . لـو . . أن . . ما قالته انيتا أحرجك وأحرج والدتك، ولكن . . .

وأسند راوول ظهره على الباب، مغلقاً عليها طريق الخروج وسألها :

ـ ألم يحرجك الأمر؟ ألم يحرجك جنون زوجتي بأن عندك دوافع شخصية كي ترغبي في عودتي؟ ألم تغضبي؟

وتسارع الدم في شرايينها قليلاً :

ـ لا . .

ـ لا؟

ـ لا . . فأنت تعرف أن كلامها غير صحيح . وأنا واثقة أن والدتك لم تنخدع أيضاً . انيتا كانت تتلاعب، محاولة، محاولة أن . . .

ـ أن تبعد الانتباه عن نفسها . . ربما؟ لقد قالت لي أمي إنك دافعتي عنها .

ـ والدتك؟ . . أنا . .

ـ لقد تحدثنا في وقت مبكر، قبل أن تحضري إلى العشاء، وقالت لي أيضاً إنكما قضيتما أوقاتاً كثيرة معاً خلال الأيام الماضية .

ـ أوه . . أجل . . لقد كانت لطيفة جداً .

وحدّق بها بعينيه السوداوين .

ـ كان رأي أمي أنك كنت تشفقين عليها .

ـ لا . . أبداً . . كانت نزهاتنا مدعاة سرور مشترك، إنها شخصية رائعة .

وتحرك راوول مبتعداً عن الباب .

ـ أنيتا لم ترافقكما . لقد قيل لي إنها أمضت معظم أوقاتها في الفراش .

ـ وهل وضعت عليها من يراقبها؟ بالتأكيد . . إنها . . .

ـ لم أطلب مراقبتها . ولكن يجب أن تفهمي أن هناك أشخاصاً في القصر همهم الوحيد هو إخباري عن نشاطات زوجتي خلال غيابي . . هل فهمتِ ما أعنيه؟

ـ ليس عليك أن تصغي لهم .

ـ لا يمكن أن تكوني جادة، هل أقول لهم إن هذه الأشياء تزعجني؟

ـ إذاً، انيتا على حق، فالخدم لا يحبونها .

ـ الخدم لا يكرهونها يا جولي، إنهم فقط لا يحترمونها .

ـ وغلطة من هذه؟

وبدا الغضب في عيني راوول .

ـ وهل تشيرين إلى أن هذه غلطتي؟

ـ حسناً . . أليست كذلك؟ أعني . . ألن يكون وضع انيتا أكثر أماناً لو . . لو أن لديها طفل؟

وقطع راوول المسافة بينهما بسرعة مخيفة، وحدّق بعينيها :

ـ هل تعنين ما تقولينه؟ هل تريدين وضعي في هذه الحالة، دون أدنى شفقة؟

ـ شفقة؟ لقد تزوجتها، أليس كذلك؟ لقد جعلتها زوجتك! ألا يعطيها هذا بعض الحقوق عليك في هذا البلد الشديد التدين؟ أم أن الولاء هنا مخصص للكنيسة والقديسين فقط؟

وامتلأ وجه راوول بالغضب وقال بصدمة :

ـ كيف تجرؤين على مثل هذا القول؟ كيف تجرؤين على

التحدث معي حول الولاء؟

ـ إنها زوجتك يا راوول، وقد حملت بطفلك! ألا يعني هذا شيئاً؟

ـ أجل! يجب أن يعني شيئاً، بل لقد عنى شيئاً. ولكن ألم تسألي نفسك أبداً لماذا تزوجت أنيتا؟

ـ أعتقد...

ـ نعم؟... ماذا تظنين؟ ربما تظنين بأنني وقعت في حبك ثم في حب انيتا خلال أسابيع؟

ـ حسناً...

ـ أو ربما أنني تزوجتها كي أنتقم منك، أو أنني حكمت على نفسي بالارتباط مدى الحياة لمجرد أن أبعث الغيرة فيك! هل تصورتي أبداً أنني لم أحبك؟ وأن مشاعري كانت فارغة كما كانت مشاعرك تماماً؟

ـ راوول...

ـ لا.. لم يكن الأمر هكذا! لم يكن لديّ رغبة في الزواج من انيتا. ولم أكن أهتم بالزواج من أحد. ليلة تركتي الفندق، كانت مشاعري هي مجرد احتقار لنفسي، لأني سمحت لأية امرأة أن تملي عليّ ما أفعل!

لقد كرهتك يا جولي. ولكنني كرهت نفسي أكثر. ولقد دفعتيني أنت لأن أفعل ما فعلت، لقد حولتيني إلى... إلى حيوان، دافعه فقط الغيرة والغضب. أنت كنتِ السبب، ولكنني أنا الملوم لترك نفسي أنخدع.

وحاولت أن تبتعد عنه ولكنه أمسكها بكتفها ليمنعها:

ـ سوف تستمعين إليّ.. يجب أن تسمعي ما سأقوله لك. ثم

تقرري من هو المذنب منا.

ـ وهل هناك داعي لهذا؟

ـ هكذا أظن. ليلة غادرت الفندق، كنت يائساً. كراهية النفس هي أسوأ المشاعر المدمرة. وهكذا لجأت للشرب، وكنت لا أزال واعياً عندما اتصلت بي انيتا، واستطعت أن أقول لها إن ما بيني وبينك قد انتهى. صديقتك اتصلت لتعرف مدى نجاح مكيدتها. كانت ذكية جداً. لقد طلبت التحدث معك أولاً، ولم أكن ساعتها في حالة تسمح لي أن أنكر بأنك تركتيني.

ـ ومع ذلك.

ـ انتظري!

وحفرت أصابع راوول في لحم ذراعها.

ـ عندما اكتشفت أنك أصبحت خارج الصورة، كانت بعد ربع ساعة عند بابي.

ـ لا!

ـ بل أجل.. ولكن لا تظني الظنون، فلم يحدث شيء بيننا، لم أكن ساعتها قادراً، كيف أقول؟ قادراً أن ألبي رغباتها. ولكن والدها لم يكن يعرف هذا.

ـ والدها؟

ـ للأسف نعم، شخص ما، وتستطيعين اكتشاف من هو، قال له أين توجد ابنته، وعندما وصل إلى الفندق، تأكدت انيتا من أن يجدها عارية تقريباً. والنتيجة كانت محتومة.

ـ ولكن...

ـ في ذلك الوقت ما كنت لأهتم، أعتقد أنه كان عليّ إنكار كل شيء، ولكن عقلي رفض العمل. وفي وقت لا يذكر جرى ترتيب

www.elromancia.com

الزواج. وهذا ما كانت انيتا تبغيه. واعتقدت أن هذا ما كانت والدتي تريده، وبما أنني وأنت..

وتوقف فجأة، ويده لا تزال ممسكة بكتفها لتمنعها من الحركة:

ـ ربما لم أكن واثقاً تماماً من أن الأمر سيؤلمك، ولكنني كنت مخطئاً فالأمر لم يهمك أبداً، أليس كذلك؟

وتسارع تنفس جولي وقالت:

ـ راوول...

ـ أجيبيني.. عليك اللعنة!

ـ أنا.. أنا.. لا أستطيع... لا أستطيع!

ـ ولماذا لا تستطيعين؟ هل ستكذبين عليّ مرة أخرى؟ هل ستقولين لي بأنك كنت ستغيرين رأيك؟ هل ستقولين لي إنك ندمت على تركك لي؟

ـ أنا.. لم أتركك يا راوول.

ـ وماذا تسمين ما حصل؟

ـ لقد قلت لك إنني بحاجة إلى المزيد من الوقت!

ـ كان هذا عذراً.

ـ لم يكن هكذا. لم أكن أدري ما أفعل. بعد أن طردتني من الفندق...

ـ تعنين. بعد أن اغتصبتك؟ بعد أن دمّرت الشيء الشريف الوحيد الذي كان بيننا؟

ـ أنت لم تغتصبني، وأنت تعرف بأنك لم تكن قادراً على فعل هذا، لقد أظهرت لي حبك..

ـ كما أود أن أظهره لك الآن. وكما كنت أود أن أفعل منذ رأيتك في المطار.

ـ لا.. يا راوول.

ـ بل نعم يا راوول..

ـ لا...

ـ ولكنك أتيتِ إلى هنا وأنت تعلمين كم سيعذبني هذا.

ـ لا.. لقد دعتني انيتا.

ـ ولماذا تظنين أن انيتا دعتك، إذا لم يكن لتعذبني؟

ـ راوول.. أنيتا يائسة!

ـ مثلي تماماً. مثلي تماماً يا جولي.

وأشاحت بوجهها عنه ولكن يداه أمسكتا بوجهها، وأدارتاه نحوه، ثم جذبها نحوه، وتأوه قائلاً:

ـ لا تقاوميني يا جولي.

ـ راوول...

ولكن احتجاجها كان لا طائل من وراءه. وشد قبضته على وجهها فتلعثم الكلام في فمها، أرادت أن تقاومه، أرادت أن تدفعه عنها، وأن تلغي هذا التلامس بينهما قبل أن يحدث شيء، ولكن قواها خانتها. وهمس لها:

ـ جولي.. لماذا جئتِ إلى هنا؟

كلمات راوول المحطمة مزقت قلب جولي. لم يكن لها الحق بأن تأتي إلى هنا. وليس لها الحق بأن تكون بين ذراعيه، ليس لديها الحق، وهذه غلطتها وحدها؛ لقد اتخذت قرارها منذ خمس سنوات، يومها اختارت مستقبلها العملي، لأنها كانت تعتقد بأن هذا ما تريده. ولا فائدة الآن من تبرير عملها بالاعتراف بأنها قد أخطأت. كان يمكن أن لا يتزوج انيتا يومها، بل يتزوجها هي، وتعرف هذا دون أن يقول لها أحد. إنه لا يزال يرغب بها، وهذا

www.elromancia.com

صحيح، ولكن لن تستطيع أن تأمل بمشاركته حياته، أو أن تحمل بأطفاله.

وبقوة فائقة، سحبت نفسها بعيداً عنه، ثم، وبعد أن وقف هناك ينظر إليها، وضعت اللمسات الأخيرة لإنهاء المهزلة:

ـ صدقاً يا راوول، ليس بإمكانك أن تتذمر من تصرفات انيتا، إذا كنت أنت بنفسك لا تستطيع الالتزام بالقوانين!

●●●

٩ ـ هل تستطيع الهروب؟

وسافرت جولي في الصباح التالي، قبل أن تستيقظ انيتا، ولحسن حظها لم تشاهد راوول، وكانت على وشك المغادرة دون إفطار عندما التقت بالكونتيسة.

ـ هل أنت راحلة؟ سأطلب من جوليانو أن يحضر لك حقيبتك، أتصور أنك بحاجة إلى سيارة توصلك إلى المطار.

ـ يمكن أن أتصل لإحضار تاكسي.. أليس هناك تاكسيات في القرية. أرجوك أن لا تزعجي نفسك بسببي يا كونتيسة. أفضّل أن أذهب بأقل إزعاج ممكن.

ـ أتصور هذا. لكن لا أظن أن ولدي سيوافق على أن تكوني تحت رحمة التاكسي، لذا سأوصلك بنفسي إلى بيتزا.

ـ أوه.. حقاً.. لا أعتقد أن راوول سيوافق على هذا أيضاً.

ـ سيوافق بسرور.. وليس عليّ أن أفكر بما يوافق عليه ولدي أو لا يوافق بالنسبة لما أعمله يا جولي، هيا سنشرب القهوة ونأكل بعض الكرواسان.

ولم تكن جولي قد ركبت مع الكونتيسة وهي تقود من قبل،

www.elromancia.com

وأقلقتها طريقة قيادة المرأة العجوز. ولكن، تدريجياً، عاد تفكيرها نحو ما حدث بينها وبين راوول.

من العبث التظاهر بأنه قد يتغلب على صدمته لما حدث، فتصرفها معه لا بد أنه دمّر كل أثر للعاطفة التي كان يشعر بها نحوها. ولا فائدة من أن تقنع نفسها بأنها فعلت هذا لصالحه. فهو لن يسامحها أبداً، ولن تستطيع أن تسامح نفسها. ماذا فعلت به، ماذا فعلت لكليهما؟ هل يمكن لها أبداً أن تعوض عن أخطاء الماضي؟

ـ هل قررتِ السفر بسبب ما قالته انيتا بالأمس؟

سؤال الكونتيسة الهادىء، أعادها فجأة إلى الإحساس بمكان وجودها، وحاولت جودي بسرعة أن تجد عذراً لقرار مغادرتها.

ـ أوه.. لا. أعني أن هذا سيكون سخيفاً. أليس كذلك. على كل الأحوال انيتا هي التي طلبت مني الحضور إلى هنا.

ـ هذا ما عرفته، ومع ذلك فقد حدث شيء جعلك تغيرين رأيك.

ـ أغيّر رأيي يا كونتيسة؟

ـ طبعاً.. فلو كنت تنوين السفر منذ الأمس، لكنت أخبرتيني؟

ـ لقد ظننت أن هكذا أفضل.

ـ أفضل لمن؟ لك؟ لأنيتا؟ لولدي؟

ـ لنا جميعاً كما أعتقد..

وأشارت إلى برج يبدو عن بعد:

ـ أليست هذه كنيسة جميلة؟ هل تعرفين اسمها؟ لا أذكر أنني رأيتها من قبل.

ـ لا تحاولي تغيير الموضوع يا طفلتي. هل ولدي ملام حول قرار

سفرك؟ لا يجب أن تتركي ما يقوله يزعجك، راوول لم تكن حياته سهلة خلال الخمس سنوات الماضية. أليس من الطبيعي أن تظهر مرارته في بعض الأحيان؟

ـ لا.. لا ألوم راوول...

ـ وهل تلومين انيتا؟

ـ لا.. بل ألوم نفسي! لو لم أنفصل أنا وراوول..

ـ يا طفلتي اسمحي لي.. هذه سخافة!

ـ ولماذا تكون سخافة؟ راوول مؤمن بهذا.

ـ وهل قال لك؟

ـ بين.. عدة أمور.

ـ مع ذلك فهي سخافة.

ـ ولماذا؟

ـ يا عزيزتي جولي، لايمكن أن تكوني ملومة لما حصل بعد أن افترقتما، راوول لم يكن طفلاً، لقد كان... راشداً. ولم يكن مضطراً للزواج منها بعد أن تخليت عنه.

ـ ولكن...

ـ أعلم أن انيتا كانت تغار منك، لقد قالت لي هذا، أوه...

ليس بكلمات واضحة، فهي ليست غبية لتعترف بهذا، ولكن تصرفاتها لم تترك أي شك بأنها كانت ستفعل أي شيء في مقدورها لتفرّق بينكما.

ـ وإن كان...

ـ لا يمكنك الإنكار أن الوضع كان يمكن أن يختلف لو لم تتدخل أنيتا.

ـ من يعلم.. كنت أرغب كثيراً في استقلاليتي، لا أنكر هذا.

ولكن لا أعلم إذا كان لديّ القوة لتركه لو لم يجبرني على ذلك...

- صحيح.. من يدري؟ لا يمكن لنا أن نتحمل مسؤولية ما هو مقدر.

وتطلعت جولي بوالدة راوول:

- شكراً لك...

- لا تشكريني.. ولكنني لا زلت أعجب لماذا أحضرتك أنيتا إلى هنا. وأتساءل ماذا وعدتيها أن تفعلي.

- ولماذا؟ لقد وعدت فقط بمساعدتها، وماذا أستطيع غير هذا؟

وأبعدت الكونتيسة نظرها عن الطريق لتحدق بجولي طويلاً، حتى أن جولي اضطرت إلى إمساك المقود بنفسها، بعدها أعادت العجوز انتباهها إلى الطريق، وقالت وهي تهز رأسها:

- لست أدري كيف أفهمك يا سنيوريتا، أحياناً أظن أنني كنت مخطئة بخصوصك. وأحياناً أتساءل إذا ما كنت أعرفك حقاً!

- ولماذا يدهشك أنني أردت مساعدة انيتا؟ نحن صديقتان...

وقالت الكونتيسة وهي تختار كلماتها بحذر:

- قولي لي يا سنيوريتا.. هل أحببت ولدي حقاً؟

- يجب أن تكوني تعرفين بأنني أحببته.

- إذاً، بحق الله، لماذا تكرهينه الآن؟

- أنا لا أكرهه...

- ولكنك تريدينه أن يعترف بأبوة طفل ليس طفله!

وفتحت جولي فمها مندهشة.

- ماذا؟

- أوه.. لا تظهري أنك مصدومة هكذا! لقد قلت إنك تعرفين

كل شيء عن انيتا، ولكنك بالطبع لا تعرفين وإلا لما صدّقتِ أن الطفل كان لراوول؟

وشعرت جولي أنها على وشك الإغماء. داخل السيارة كان حاراً، مع أن النوافذ كانت مفتوحة، وكان قميصها ملتصقاً برقبتها وظهرها من العرق. ولكنها الآن تشعر بأن جسدها كله يتعرق. الشحوب الفجائي لوجه جولي، والاشارات الواضحة بأنها على وشك فقدان وعيها، دفع بالكونتيسة لتوقيف سيارتها.

- ألم تكوني تعلمين؟ ولكن عن ماذا كنتِ تتكلمين بالأمس؟ اعتقدت أنك تعرفين بما بينها وبين بيدرو. وما الذي برأيك قد يسبب عاراً أكثر من هذا؟

وأحسّت جولي بجفاف فمها، ولكن بعد بضع دقائق استطاعت أن تتكلم:

- لقد كنت أظن، كنت أظن أنك تتحدثين عن شرب انيتا، ولم أكن أعرف.. لم أربط هذا أبداً.. ولا غثيانها في الصباح.. مع.. حملها بطفل.

- إذاً، فأنت ساذجة جداً. أو، أن شعورك بالذنب أعماك عن أي شيء آخر.

- أنا آسفة!

- وكذلك أنا..

- إذاً.. هذا ما كنتِ تقصدينه بأن راوول يعرف، وأن الجميع يعرفون؟

- بالطبع.

- انيتا و.. وبيدرو؟

- هو شقيق راوول.. زوجي جعل إحدى العاملات في المطبخ

حاملاً . .

ـ إذاً . لهذا السبب بيدرو . . .

ـ متعجرف؟ أجل . . هل تستطيعين تصور ما شعرت به يوم وصلت ورأيتكما معاً؟

ـ ما كان يجب عليك أن تقلقي عليّ يا كونتيسة، لقد عملت بين الرجال من أمثال بيدرو كازولي، وهذه إحدى حسنات العمل، إذ تتعلم المرأة أن تكون حذرة مع هذا الصنف من الرجال.

وقالت الكونتيسة بمرارة:

ـ رجال من أمثال زوجي، أوه لقد كنت أحبه كثيراً، ولكنني لم أكن عمياء عن أخطائه . . وآسف أن أقول، إن انيتا لم تتعلم من أخطائها.

وفركت جولي راحة يدها على ركبتها:

ـ لم أستطع فهم ما كانت تريده مني.

ـ ولا أنا، وأنت الآن تقولين إنك لا تعرفين الحقيقة، إلا إذا كانت قد فكّرت أن تجدي لها طريقة للتخلص من الطفل، كما فعلت في السابق.

ـ ولكن هل كانت غلطتها لموت الطفل السابق؟

ـ في ولادته ميتاً لا، ولكن في موته، إنها مسؤولة عما حدث، لا بد أن راوول أخبرك بالأمر. كانت مسألة مريعة.

ـ ولكن راوول لم يقل لي حقاً. بيدرو هو من أخبرني في الصباح التالي لوصولي. قال لي إنه كان هناك طفل ومات.

ـ هل قال هذا! لقد كان دائماً يغار من راوول مع أن ولدي يعيله منذ فترة طويلة. وماذا قال لك؟ هل ذكر الشكوك حول أبوية الطفل؟ لا عجب أن يكون راوول مليئاً بالمرارة هكذا، لقد أتت بها أنيتا

إلى القصر تحت حجة كاذبة، ورغم المشاعر التي أحسّت بها تجاه راوول، إلا أنها أدركت أن لا مجال أمامها سوى أن تسافر.

ولم ترافقها الكونتيسة إلى داخل المطار، وودعتا بعضهما في الخارج.

امرأتان كان يمكن أن تكونا قريبتين، ولكن بينهما الآن هوة كلاهما لا تستطيعان أن تقطعاها.

ـ سأقول لراوول كل شيء. ليس بأنك تحبينه، فأنا متدينة ولن أفعل هذا، ولكنني سأقول له بأنك لم تكوني تعلمين بحالة انيتا، ربما سيعطيه هذا بعض العزاء.

وارتجفت جولي بينما كانت المرسيدس القديمة تبتعد عنها. فبكلمات بسيطة سبرت الكونتيسة أعماق قلبها، وتركتها عرضةً لأي شيء . . .

وصلت جولي في وقت متأخر بعد الظهر إلى شقتها، غير متوقعة أن تجد السيدة باتس هناك. ولكن السيدة كانت تشاهد التلفزيون عندما سمعت مفتاح جولي يدور في قفل الباب الخارجي . . .

ورحّبت بها بحرارة، وأدارت التدفئة المركزية لتتغلب على برد هذه الأمسية.

ـ أرى أنك اخترتِ الليلة الخاطئة للعودة، ولا يبدو عليك الراحة أيضاً، هل أنت واثقة أنك كنتِ مسافرة؟

وضحكت جولي، ولكن قلبها لم يتجاوب، وكأنما أحسّت السيدة باتس بهذا فتوقفت عن المزاح.

ـ أنا واثقة أن ما أنت بحاجة إليه هو وجبة طعام ساخنة. اخلعي هذه الملابس عنك، وسأحضّر لك شيئاً تأكلينه.

ـ أوه يا سيدة باتس، حقاً أنا لست جائعة. ربما سندويش فقط

وفنجان شاي، لا أظن أن باستطاعتي أن آكل أكثر.

ـ حسناً.. إذا كان هذا ما تريدينه.

ـ أجل.. ولكن بعد ثلاثة أرباع الساعة، فأنا بحاجة إلى حمام ساخن أولاً.

وحاولت جولي وهي مسترخية في المياه الدافئة المعطرة أن تبعد عنها التفكير براوول وأنيتا والكونتيسة العجوز، ولكن هذا كان مستحيلاً، فقد ظل يشغل تفكيرها ما قد يكون فعله راوول وانيتا بعد سفرها المفاجيء، وتوقعت أن يكون راوول مسروراً بذهابها، ولكنها لم تكن واثقة مما ستشعر به انيتا. وتمنت أن لا تتصرف بحماقة بعد أن أصبحت لوحدها، فلو قامت بعمل ما لجذب الاهتمام لها، فعليها أن لا تلوم سوى نفسها، ولكن أتستطيع فعلاً أن تصدق بأن راوول يجهل تماماً وضعها؟ وما الذي دفعها لأن تتورط مع بيدرو كازولي؟. إذ لا تستطيع جولي أن تصدق بأن رغبتها بطفل هو الذي دفعها إلى ذراعيّ رجل آخر...

وشعرت بغرابة وهي تصعد إلى سريرها ثانية. ولكنها كانت سعيدة لاستعادة نمط حياتها العادي. ستكون مرتاحة تماماً عندما تعود إلى مكتبها. فعلاقتها النشيطة مع زملائها هي ما تحتاجه لتطرد الشعور بالإحباط الذي يسيطر عليها، وأجبرت نفسها على التفكير بالحملة الدعائية الجديدة، وبمستقبلها العملي.

* * *

صب باتريك دورلاند فنجان القهوة لها وقال وهو يقدمه لها:

ـ إنه نجاح كبير.. أتعرفين هذا؟ أظن أن زملائي سوف يكونون سعيدين جداً. فالمستحضر الجديد سيحطّم كل التوقعات.

ـ أتظن هذا؟

وحدّق بها رئيسها وهي ترتشف القهوة:

ـ ألا تظنين أنت هذا؟ ألا تشعرين بأن في يدنا ورقة رابحة؟ جولي، النجاح كله بين يديك الآن، فلا تفتر همتك!

ـ أوه، لست كذلك. ولكنني فقط لا أحب أن أستبق النجاح.

ـ ليس للأمر علاقة بموعد إطلاق المستحضر، أليس كذلك؟ أنت لم تكوني على طبيعتك منذ عدت من ايطاليا. ما الأمر يا جولي؟ لقد قلتِ إن صديقتك استعادت عافيتها. هل لا زلتِ قلقة عليها؟

ـ أقلق على انيتا؟ لا.. أنا لست قلقة من أي شيء.

ـ ولكن هناك شيء يا جولي، وأعلم هذا، فلم يعد عندك نفس الحماس المعتاد. أنا لا أقول إن عملك قد تأثر.. فأنت تركّزين عليه كثيراً. ولكن، بكل صراحة لقد بدأت أقلق عليك، من الواضح أنك فقدتي الكثير من وزنك، وأريد أن أعرف السبب.

ـ لا تكن سخيفاً يا باتريك. لقد كنت اتبع حمية خاصة، هذا كل شيء. الطعام الايطالي لم يكن مناسباً أبداً لقوامي.

ـ جولي.. توقفي عن هذا! أعرفك جيداً، يا إلهي.. لقد عملنا معاً منذ سنة. وكنت أظن أننا أصدقاء.

ـ نحن أصدقاء. ولطيف منك أن تهتم بي، حقاً، ولكن.. إنها مسألة شخصية يا باتريك، مسألة عليّ أن أهتم بها بنفسي. وعليّ أن أعطي نفسي الوقت اللازم. حقاً، أنا لست على وشك ترك الشركة!

ـ حمداً لله على ذلك! ألا تريدين أن نتحدث بالأمر؟ ألا تظنين أن رأياً ثانياً قد يساعدك؟

وترددت جولي قليلاً، ثم قالت:

ـ لا أظن.

ـ من الواضح أنه رجل. هل هو شخص التقيتيه في ايطاليا؟

ـ يمكنك قول هذا.. هل تمانع لو ذهبت الآن يا باتريك؟ لديّ بداية صداع.

ـ لقد كنت سأطلب منك تناول العشاء معي.. لا أعتقد بأنك...

ـ أفضّل أن لا أفعل. أفضّل النوم باكراً، لقد كان نهاري متعباً اليوم. وأحتاج إلى إعادة شحن بطارياتي.

ـ أتمنى أن أصدق هذا. لقد مضى عليك اسبوعان هكذا. إلى متى سيستمر هذا؟

ـ أتمنى لو أعرف، سأراك يوم الاثنين يا باتريك، وشكراً، على كل شيء.

ولم يكن باتريك هو الوحيد الذي كان قلقاً عليها، بل أن السيدة باتس كانت قلقة أيضاً، لذا أخذت تعتني بوجبات طعامها وتقدم لها ألذّ المأكولات. ولكن شهية جولي لم تتحسن ووجدت من الصعوبة أن تقوم بالمحاولة. باتريك على حق، لقد فقدت حماسها، لكل شيء، وبدت حياتها، التي كانت مليئة، فارغة الآن بشكل مرعب.

هذا المساء، كان عند السيدة باتس أخباراً مزعجة. لقد وصلها اتصال هاتفي، من ايطاليا. وقالت السيدة باتس على مضض:

ـ تلك المرأة التي كانت تتصل من قبل. لقد قلت لها إنني لا أعرف متى ستعودين.

وخلعت جولي حذاءها ودخلت غرفة الجلوس:

ـ لماذا قلتِ لها هذا يا سيدة باتس؟

وانشغل فكرها بهذا التطور الجديد، المتأخر، لقد توقعت أن

تتصل بها انيتا منذ اسبوعين، فلماذا انتظرت كل هذه المدة؟

ـ لم أكن أعلم إذا كنت تريدين أن تتحدثي معها يا آنسة فولروك. أنا... لقد قالت إنها ستتصل ثانية غداً. واعتقدت أن هذا أفضل.

وجلست جولي على الأريكة، وأخذت تعبث بشعرها، ثم أحسّت أن غضبها على السيدة باتس قد تلاشى، فقالت:

ـ ربما تكونين على حق، أنا تعبة هذا المساء، وستكون السنيورا دي ڤيلانو ملحاحة كثيراً.

ـ هذا ما أظنه أيضاً. والآن، لقد حضّرت لك وجبة سمك لذيذة هل تفضّلين معها الهليون أم القنبيط؟

واختارت جولي نوع الخضار، واستلقت بحدة على الأريكة. إذاً.. لقد اتصلت انيتا! بعد اسبوعين من الحيرة عما يمكن أن يكون حدث لها، لقد اختارت أخيراً أن تعلمها، ومع أنها لم تكن متلهفة لهذه المكالمة، إلا أنها تعرف بأنها محتمة. عاجلاً أم آجلاً يجب أن تتكلم معها، وربما، بعد أن ينتهي الأمر، تستطيع التخلص من يأسها واضطرابها.

ورن جرس الهاتف، أثناء تناول جولي العشاء، ومع أن السيدة باتس قالت بأن انيتا لن تتصل قبل الغد، إلا أن جولي توقعت أن تكون هي، لذا لم تندهش عندما أكّدت لها مدبرة المنزل الخبر.

ـ هل تريدين التحدث معها الآن؟

جولي كانت تميل إلى الرفض، إلا أنها هزّت رأسها موافقة:

ـ يجب أن أفعل.. شكراً لك سيدة باتس.

وانتظرت جولي حتى خرجت مدبرة المنزل، ثم تنفست نفساً عميقاً.

- مرحباً انيتا. . ما هذه المفاجأة؟ لم أتوقع منك أن تتصلي.
- ألم تتوقعي؟ كنت واثقة أنك تتوقعين اتصالاً مني.
- منذ اسبوعين، نعم. لقد توقعت منك ردة فعل على سفري، ولكن الآن. . .
- أنت تعرفين ما حدث. لقد كنت غاضبة جداً منك، حقاً. . . أن تهربي مني هكذا.
- أنا لم أهرب منك بالضبط يا أنيتا. لقد كانت حماتك تعرف. لقد اعتقدت أنه الشيء الوحيد الذي أستطيع فعله.
- صحيح. ؟ لم أكن أدرك أنك حساسة لهذه الدرجة يا جولي.
- وماذا تعنين؟
- غضبك لما قلته، بالطبع. وأظن أن هذا هو سبب شعورك بالحاجة للسفر.
- لقد كذبت عليّ يا انيتا. لقد جعلتيني أجيء إلى «فاغيو» بادّعاء غير صحيح أبداً، لقد قلتِ إنك بائسة للحصول على طفل، ولكنك لم تقولي إنك تحملين بواحد الآن!
- اعتقدت بأنك خمنت هذا.
ولدهشة جولي لم يبدو على أنيتا أي قلق، بل تابعت:
- ذلك النهار عندما تقيأت، ظننتك عرفتي.
- وكيف لي أن أعرف؟
- ظننتك خبيرة بهذا الأمر يا جولي. ظننتك امرأة خبيرة بالحياة.
- ولكنك قلت لي أن أتوسل لراوول لصالحك!
وتنهدت انيتا:
- أوه. . نعم. لقد قلت لك هذا، أليس كذلك؟ ولدرجة ما كان هذا صحيحاً. ولكنني كنت أعلم أنني لو أخبرتك الحقيقة قبل أن

تغادري انكلترا، لما كنت أتيت أبداً.
- بالتأكيد!
- تبدين غاضبة جداً يا جولي. . .
- أنا فعلاً غاضبة، كيف استطعت فعل هذا يا أنيتا؟ كيف استطعت؟ تريدين مني التدخل لصالحك من أجل طفل رجل آخر؟
- أعتقد أن حماتي العزيزة قالت لك هذا. تفهمين الآن سبب عدم رغبتي بأن تأتي هذه العجوز الشمطاء إلى هنا. كنت أعلم أنها ستسمم أفكارك عني.
وغضبت جولي. .
- أنيتا، لا يمكن لك أن تتوقعي من والدة راوول أن تسامحك لما فعلتِ!
- ولماذا لا؟ بيدرو ابن زوجها، مثله مثل راوول.
وشعرت جولي بالقرف والغثيان:
- إذاً، كنت تعرفين هذا!
- بالطبع، إنه شيء معروف للجميع. منذ أن وظفه راوول كسائق له، لم يبق الأمر سراً.
- أوه. . انيتا. .
- لا تكوني محافظة هكذا يا جولي. فحياتك لم تكن دون أخطاء لتستطيعي انتقادي لارتكابي غلطة واحدة!
- غلطة واحدة!
- حسناً، غلطتين، أظن أن العجوز أخبرتك عن الرجل الآخر، الطفل لم يكن ابنه مهما قالت.
وابتلعت جولي ريقها. إذاً هذا ما كانت تلمّح إليه الكونتيسة. كان هناك رجل آخر في حياة انيتا قبل بيدرو كازولي وتلك العلاقة

انتهت بمأساة، بموت ولد راوول.

ولم يعجب انيتا صمت جولي، وأسرعت لتبرير نفسها:

ـ حسناً، لم يكن بمقدوري الاحتفاظ بالطفل، لم أستطع فعل شيء. الطرقات هنا خطرة ولو كنا نعيش في روما كما كنت أرغب، لما خسرت الطفل، ولكن ماكسيم كان يقود بسرعة، و...

ووضعت جولي يدها المرتجفة على حنجرتها وصرخت:

ـ ولكن لماذا، لماذا يا انيتا؟ لماذا؟

ـ لماذا ماذا؟ لماذا فقدت الطفل؟ ظننت أن هذا واضح. لقد حصل حادث سير..

ـ أعني، لماذا فعلتِ هذا؟ لقد تزوجتي راوول يا انيتا! وأنت أردتِ أن تتزوجيه.. لأجل السماء، ماذا حدث لك؟

ـ قلت لك.. لقد كرهت الإقامة هنا. كرهتها! ليس هنا أي مرح، ولا شيء تستطيعين فعله...

ـ ولكنك كنت تعرفين هذا قبل أن تتزوجي راوول.

ـ وكيف لي أن أعرف؟ كان شخصاً مختلفاً في لندن. بدا لي خطراً، ومثيراً، ولكنني سئمت!

وهزت جولي رأسها، لم تعد تريد أن تسمع المزيد. لقد كان الأمر أسوأ مما تصورته، وتذكرت كيف اتهمت راوول بالتسبب في عدم احترام الخدم لها. وشعرت بالخجل المرير، وتابعت انيتا دون اكتراث:

ـ على كل حال، لا يمكنك التحدث عن هذا. فأنت لم تقيمي مدة طويلة هنا. أليس كذلك؟ لقد اختلقت عذراً سريعاً لتسافري.

ـ لم أختلق أية أعذار يا انيتا...

ـ اوكي... لقد سافرت في مطلق الأحوال. والواقع يبقى كما

هو، لن تقبلي بأن تحبسي في قصر خلال كل حياتك!

وبللت جولي شفتيها. لو أتيحت لها الفرصة، إنها تعرف بأنها قد تتخلى عن كل ما تملك في سبيل أن تبدأ من جديد.

وقررت أنيتا أن في صمتها الجواب الكافي.

ـ إذاً، ستكونين مسرورة لو علمت أن زيارتك قد أفادت على كل الأحوال.

ـ أفادت؟

ـ أجل، لقد وافق راوول أخيراً أن أعيش في الشقة في روما. إنه نوع من التسوية. إنه يعرف أنه لا يستطيع طلاقي. ولكنه لا يريدني أن ألد الطفل في «ڤاغيو»، لذا سأسكن الشقة في روما، على الأقل إلى ما بعد ولادة الطفل، وهذا سيعطينا وقتاً لدرس الأمور.

ـ فهمت.

ـ كل هذا بفضلك.. أعني، كنت أعتقد بأنه سيطردني، وإلى الجحيم بمبادئه الدينية، لا بد أنك قلتِ له شيئاً أصاب وتراً حساساً فيه، لقد أبلغني بقراره هذا الصباح، وكما تتصورين، كنت سعيدة. سأغادر في نهاية هذا الاسبوع. وأريد أن أقول إنني شاكرة لك!

●●●

١٠ ـ هل فات الأوان؟

ـ آنسة فولروك، هناك مكالمة هاتفية لك.

ـ أوه.. اللعنة!

ورفعت جولي رأسها عن أوراق الميزانية التي كانت تدرسها. لقد أمضت النهار مشغولة مع باتريك الذي كان يضع خططاً لتصميم جديد، وبما أنهما لم يتفقا، فلم تكن في مزاج لتحمّل أي إزعاج.

ـ انظري يا لينا، كائناً من كان المتصل، قولي بأنني سأتصل بهم أنا. عليّ أن أنهي هذه الأوراق عند الخامسة، وأريد أن أنصرف باكراً لأنني مدعوة لحفلة عشاء هذه الليلة.

ـ إنها مديرة منزلك، آنسة فولروك، وقلت لها إنك مشغولة، ولكنها أصرّت على اعطائك رسالة.

ـ أية رسالة.

ورفعت جولي رأسها، وقد انتابها شعور مزعج بالبرودة، لقد أمضت ستة أشهر قبل أن تتوقف عن الارتجاف كلما رنّ هاتف منزلها. ولكن عندما سمعت الآن أن السيدة بانس على الخط تطلبها، شعرت بالخوف، وأقنعت نفسها، لا يمكن أن تكون أنيتا،

ليس بعد هذا الوقت الطويل.

ـ لقد طلبت أن أقول لك، إن لديك زائر آنسة فولروك. السنيوريتا دي ڤيلانو. هل هي نفسها التي اتصلت بك في السابق؟

إذاً فهي انيتا فعلاً! وجف فم جولي، يا إلهي.. ماذا تريد أنيتا هذه المرة؟ لا بد أنها ولّدت الطفل، فما هو السبب لقدومها دون سابق إنذار؟ لا بد أنها تعرف بأن جولي في العمل، فلماذا لم تتصل بها في مكتبها؟

وأدركت أن لينا لا تزال تنتظر الجواب، فتنحنحت قليلاً!

ـ أوه.. نعم.. ظننت هذا. هل قالت شيئاً آخر؟

ـ قالت إن عليك أن تعرفي بوصولها. أعتقد أنها تتوقع منك الذهاب لرؤيتها.

ـ أجل.. ربما. يا إلهي.. ماذا سأفعل؟

ـ أستطيع إنهاء تفحص هذه الأوراق عنك. ولديك على الأقل ثلاث ساعات قبل موعد العشاء.

وأصدرت جولي صوتاً ينم عن الهستيريا. بالطبع، لينا تفترض بأنها مضطربة بسبب موعد العشاء.

ـ أنت على حق. ليس هناك شيء مستعجل جداً لا يمكن إرجاؤه إلى الغد. لا تقلقي حول الميزانية يا لينا، سأراجعها في الغد.

اتصلي بالسيد دورلاند، فأريد أن أبلّغه بما سأفعل.

ـ أجل يا آنسة فولروك.

وخرجت لينا، ثم رنّ جرس الهاتف الداخلي. وأبلغتها لينا أن السيد دورلاند على الخط، وسألها:

ـ هل لديك مشكلة! لقد سمعت بأنك لم تكوني راضية عن الرسوم التي قدّمها المصمم. أعتقد بأنك كنت متسرعة قليلاً، لقد

أعجبتني رسومه.

ـ إذا كان ما تريد أن تطلق دعاية حوله، يتعلق بالفتيات الصغيرات، إذاً، تفضل، تابع العمل. إنها شعبية بما فيه الكفاية، بين زبائننا المراهقات.

ـ فهمت، أنت تقصدين أن زبائننا أكبر عمراً؟

ـ هدفنا إرضاء متطلبات من هنّ بين العشرين والثلاثين، يا باتريك، وأنت تعلم هذا، وبكل صدق، لا أستطيع تصور زبوناتنا وهن يرتدين تنانير الميني.

ـ معك حق، إذاً يجب أن يكون هدفنا شيء أكثر أناقة، ولكن هل يستطيع هذا المصمم أن ينفّذ هذا العمل؟

ـ في الحقيقة، لست أدري يا باتريك. ولكن هذه ليست المشكلة التي أعانيها الآن، لقد حدث أمر طارىء، في المنزل، وأنا أتصل بك لأسألك إذا كان لديك اعتراض على خروجي من العمل الآن.

ـ أرجو أن لا يكون الأمر خطيراً. هل حدث شيء لمدبرة منزلك؟

ـ لا.. بل، إن صديقة وصلت لعندي دون توقع. وأظن أن عليّ أن أذهب لأرى ماذا تريد.

ـ لا يمكن أن تكون نفس الصديقة... من ايطاليا مرة أخرى؟

ـ وما الذي يجعلك تسأل؟

ـ أنت يا جولي. فليس من عادتك الخروج من عملك لسبب عادي. ولا أستطيع التفكير بأي شخص آخر، ما عدا والدتك، يمكن له أن يصل دون توقع.

ـ لا أظن أن أمي تفعل هذا. أجل.. إنها السنيورا دي ڤيلانو.

أنا آسفة يا باتريك. أعلم أن هذا وقت عمل...

ـ سخافة! لا يوجد شيء مهم. ولكن لا تنسي موعد العشاء. أنا أعتمد عليك في تمثيل الشركة.

ـ لن أنسى. شكراً يا باتريك، سأراك غداً.

ـ أجل.. أتعلمين، علينا أن نفتح مكتباً في إيطاليا. وتصبحين بهذا قريبة من صديقتك كلما أوقعت نفسها في المشاكل!

عندما غادرت جولي المكتب، كانت الأنوار قد بدأت تُضاء في المدينة. قريباً سيحل عيد الميلاد، والمحلات تشع بالأضواء الملونة، ولكن جولي كانت مستغرقة جداً في أفكارها، حتى أنها لم تلاحظ هذا.

لاقتها السيدة باتس في الردهة، ووجهها مضطرب.

ـ أنا آسفة لاضطراري إلى الاتصال بك في المكتب آنسة فولروك.. ولكن عندما وصلت السنيورا دي ڤيلانو.. أنا...

ـ لا بأس سيدة باتس، هل السنيورا لوحدها؟ أعني، ألم تحضر أحداً معها؟ طفل أو أي شيء.؟

ـ طفل.. لا، إنها لوحدها. ويبدو عليها التعب، لا بد أنها رحلة متعبة لسيدة في سنها.

ـ في سنها؟

وأسرعت جولي لتفتح باب غرفة الجلوس. وكما توقعت، كانت الكونتيسة العجوز تجلس في مقعد وعند ظهور جولي وقفت فوراً.

ـ مساء الخير سنيوريتا. أرجو أن تغفري لي هذا التطفل. ولكنني أريد التحدث إليك، ولا أستطيع قول ما أريده على الهاتف.

ـ كونتيسة!

عندما سمعت السيدة باتس هذه الكلمة شهقت من خلف

جولي، وقالت:

ـ لم أكن أعرف...

ولكنها صمتت بعد أن رأت نظرة الكبرياء في عيني العجوز، التي وجّهت الكلام لجولي:

ـ أرجوك أن تبلّغي مدبرة منزلك بأنني لست غاضبة. سنيوريتا، فأنا لا أستخدم لقبي عندما أكون مسافرة. إذ لا قيمة له، إنه لقب فخري، ليس أكثر. وأنا سعيدة بكوني السنيورا دي ڤيلانو. أرغب في تناول الشاي، الذي عرضته عليّ باكراً، الآن.

ونظرت جولي إلى السيدة باتس، فرفعت كتفيها وقالت:

ـ شاي لاثنين..

وأغلقت جولي الباب وراء المرأة بعد أن خرجت. وقالت الكونتيسة، وكأنها تقرر أمراً، أكثر من توجيه سؤال:

ـ أنت مندهشة لرؤيتي سنيوريتا، ولكن السيدة باتس الطيبة، اتصلت بك لتبلّغك، أليس كذلك؟

ـ قالت إن لديّ زائر، وأنا آسفة. أرجو أن تجلسي. أنا واثقة أنني أبدو غبية.

ـ غبية؟ ولماذا تشعرين هكذا؟ ربما كنت تتوقعين شخصاً آخر، لا؟ ربما يكون وصولي مخيب لآمالك.

ـ أوه لا.. بالعكس، أنا سعيدة لرؤيتك كونتيسة، ولكنني ظننت... أوه، لا يهم ماذا كنت أظن. كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ ماذا تفعلين في لندن؟

وحدّقت الكونتيسة بها مفكرة للحظات، ثم قالت:

ـ إنك نحيلة كثيراً، سنيوريتا. لا بد أنك تعملين بجهد.

ـ ربما.. آمل أن آخذ عطلة عند الميلاد.

ـ أنت تعملين في شركة أدوات تجميل... وهذا العمل يعني لك الكثير، أليس كذلك! أنت لم تندمي أبداً على قرارك باختيار مستقبل مهني لك.

وتقدمت جولي نحو الأريكة، وجلست، ثم قالت:

ـ لم أندم أبداً، تقريباً، ولكن لا تهتمي بي، ماذا تفعلين أنت في لندن؟ هل أنت في طريقك إلى أميركا؟

ـ ولماذا تظنين هذا؟

ورفعت الكونتيسة حاجبيها بارستقراطية، فردّت جولي:

ـ أذكر..

وتوقفت قليلاً، ولكنها تابعت على مضض:

ـ أذكر عيد الميلاد الذي أمضاه راوول في انكلترا، لقد قال لي إنك كنت تزورين أقارب لك في سان فرانسيسكو.

ـ آه.. أجل. لقد سافرت لرؤية أخي تلك السنة. كانت زوجته قد توفيت لتوها. ولهذا ابتعدت عن عائلتي. وإلا لما قضى راوول عيد الميلاد في انكلترا.

ـ أعتقد هذا.

وتابعت الكونتيسة كلامها باهتمام:

ـ أخبريني.. هل سمعت أي أخبار عن راوول مؤخراً؟

ـ أسمع أخباراً عن راوول، لماذا؟ لا.. بالطبع لا. لماذا...

لماذا تظنين أنني قد أكون سمعت عنه شيء؟

وقطعت عودة السيدة باتس بصينية الشاي، الحديث بينهما. وبينما كانت تضع الصينية على طاولة منخفضة بين يدي سيدتها، أخذت جولي تفكر بما قالته الكونتيسة. لماذا تظن أن ولدها قد اتصل بها؟ هل افترق عن انيتا؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فلماذا أتت

الكونتيسة، ألأنها تعرف كيف تشعر جولي بالنسبة لراوول؟

وتأكدت مدبرة المنزل أن أمامهما كل ما تحتاجان له، فانسحبت تاركة لجولي صب الشاي، وارتجفت يدها عندما رفعت الابريق، ولكن صوتها بقي ثابتاً وهي تسأل الكونتيسة إذا كانت ترغب في الحليب أم الليمون مع الشاي، فقالت الكونتيسة:

ـ أوه.. حليب أرجوك، وقليل من السكر. لقد علّمتني عمة والدي على طريقة تناول الانكليز للشاي، ومن يومها لم أجرّب طريقة أخرى.

كان مع الشاي، بعض السندويشات، وكايك بالفاكهة، ولكن لم تكن أي منهما جائعة، وانتظرت جولي أن تبدأ الكونتيسة الحديث:

ـ إذاً، راوول لم يكتب لك، ولم يتصل؟

ـ لا.. يجب أن تعرفي أنه لم يفعل. وإذا كنت قد أتيتِ إلى هنا لهذا السبب فقد ضيعتي وقتك بالسفر.

وتنهدت الكونتيسة. وقالت مترددة:

ـ سامحيني، أنا أعبّر عن نفسي بشكل سيء، بسؤالي لك هذه الأسئلة يا جولي، أرجوك، لا تنظري إلى أسئلتي وكأنها انتقاد لك، بدل أن تكون التبرير الأخير.

ـ تبرير؟ تبرير لماذا؟

ـ لمجيئي إلى هنا. ولأقول لك أنباء، قد لا ترغبين بسماعها.

ـ أية أنباء؟ أعتقد أن انيتا ولّدت الطفل، أهذا ما جئتِ لتقوليه لي؟ ولماذا تظنين أن راوول قد يزعج نفسه ليقول لي هذا؟

ووضعت الكونتيسة فنجانها من يدها، ونظرت إلى جولي بُعينين منزعجتين وصاحت متعجبة:

ـ ألم تعرفي.؟ ألم تسمعي الخبر؟

ـ أسمع؟ أسمع ماذا؟

وتقدمت جولي منها:

ـ كونتيسة، أنا لم أسمع شيئاً منذ أن اتصلت بي انيتا لتقول بأنها ستسكن في الشقة في روما.

ووضعت الكونتيسة يدها على ذقنها متعجبة:

ـ أوه.. ولكنني كنت أظن.. اعتقدت.. أن عائلة تاور أصدقاء لك.. أليسوا كذلك؟

ـ عائلة تاور؟ أتعنين أهل انيتا. حسناً لا.. ليس بالضبط. لقد التقيت بأنيتا في المدرسة، ولا أعرف ذويها جيداً.

ـ إذاً.. لم يبلّغوك بأن أنيتا... ماتت؟

واهتز كتفا جولي، وقالت بصوت منخفض:

ـ أنيتا.. ماتت؟ لا.. لم يبلغني أحد بهذا.. أوه يا إلهي! لم أكن أعرف.

وهزت الكونتيسة رأسها:

ـ كنت أتساءل، ولكن، كنت واثقة بأنك قد تكونين سمعتِ الخبر.

ـ لا.. لا.. لم أسمع شيئاً.. متى حدث ذلك؟

ـ الجنازة كانت منذ ستة أسابيع.

ـ ستة أسابيع!

ـ سي.. لقد دفنت في مدفن العائلة في ڤاغيو.

ـ ستة أسابيع! ولكن الطفل! هل ولدته، أكان صبياً أم بنتاً؟

ـ كان بنتاً. وعاشت دقائق فقط بعد الولادة.

ـ أوه.. أوه.. مسكينة يا انيتا! لا بد أنها حزنت كثيراً!

ـ لم تعرف. ماتت قبل أن تجرى لها العملية القيصرية لإخراج

www.elromancia.com

الطفل. لم يكن هناك ما يمكن فعله لها.

ووضعت جولي رأسها بين يديها:

- يا إلهي! مسكينة انيتا!

- كانت.. مأساة. كان راوول معها عندما ماتت. شعر بأنه مسؤول، مع أنه يعلم أن بيدرو كان يزورها بعد أن سكنت في روما.

- وهل.. كان بيدرو موجوداً.. أيضاً؟

- عندما ماتت؟ لا.. لقد وجد لنفسه امرأة أخرى.. أرملة أميركية، لديها مال أكثر مما لديها عقل. أخذته معها إلى أميركا وسافرا قبل ولادة الطفلة بعدة أسابيع.

- ولكن.. كانت طفلته!

وهزّت الكونتيسة كتفيها:

- لم يكن في نيته المطالبة بها. فقد كان يعلم بأنه طالما راوول وأنيتا متزوجان، سيعتبر الطفل طفله. وكان يعلم أن راوول لن يسمح بأن يعاني الطفل بسبب عدم إثبات أبويته.

- إنه... إنه دون أخلاق تماماً!

- ربما، بالنسبة لي. أنا سعيدة لخروجه من حياة ولدي. ومهما حدث، لقد كانت هذه نعمة من الله.

وأشارت جولي إلى الصينية، ولكن الكونتيسة رفضت تناول المزيد، فقالت جولي:

- أشكرك لإبلاغي ما حدث لأنيتا. أنا شاكرة لك...

ورفعت الكونتيسة يدها:

- حسناً، هذا ليس سبب مجيئي إلى هنا.

- ليس سبب مجيئك؟ ولكنني ظننت...

- جولي، لقد قلت لك! لقد ظننت أنك تعرفين. وسبب قدومي

إلى هنا يتعلق براوول، وليس بأنيتا. ظننت أنني أوضحت لك الأمر.

وبللت جولي شفتيها بلسانها:

- لا.. لا.. لم أكن أعلم. أنا آسفة، ولكن ظننت أنك تريدين أن تعرفي إذا كان راوول قد أخبرني!

- أجل.. ولكن هذا ليس سبب قدومي. جولي إذا سألتك سؤالاً شخصياً جداً، فهل تعطيني جواباً صريحاً؟

- إذا استطعت.. ولكن.. ولكن إذا كنت ستطلبين مني أن ابتعد عن طريق راوول، فلا تزعجي نفسك. فأنا لا أرغب أن أفتح الجروح القديمة.

- ألن تفعلي؟

وحدّقت بها الكونتيسة بارتياب، وهزّت جولي رأسها:

- لا.. لا.. لا تقلقي يا كونتيسة، أنا أعلم كيف تشعرين. لو كانت الأمور مختلفة، من يعلم كيف كنت سأجيب. ولكنني الآن أفهم بأنك تريدين التأكد من أن راوول لن يرتكب نفس الغلطة مرة أخرى.

- لا.. أنت مخطئة! جولي، لقد أسأت فهمي تماماً. لم آتي إلى هنا لأطلب منك أن تبتعدي عن حياة ولدي، بل على العكس. إنه يحتاجك يا جولي. إنه يحتاجك بشكل يائس. ولكن بما أنه متكبر، لن يقول هذا بنفسه!

وحدّقت بها جولي بدهشة:

- ماذا تعنين؟

- وماذا تظنين بأنني أعني؟ جولي، لقد جعلتِ من اختبارك أمر واضح طوال السنوات الماضية، هل تعتقدين بأنني أستطيع إقناعه بأنك فكرتِ ثانية بقرارك؟

وبلعت جولي ريقها بصعوبة:

ـ أنت تعرفين.. أليس كذلك؟

ـ بأنك ما زلتِ تحبين ولدي؟ أجل.. أعرف هذا، منذ التقينا، عرفت. ولكن هل تحبينه كفاية لتضحي بوظيفتك من أجله؟ هذا ما لم أعرفه بعد.

ووقفت جولي عن الأريكة، وأخذت تذرع الغرفة بتوتر. ثم، استدارت لتنظر إلى السيدة العجوز:

ـ عندما التقيت راوول أول مرة.. كنت في الثامنة عشر. وكما قلت لك، كان والدي قد تخلى عن أمي وأنا لا زلت طفلة. ولولا ابن عم لأمي لما تلقيت أي تعليم.. ولكن هذا ما حدث، واعتقدت أنني مدينة لنفسي بأن أفعل شيئاً ما.

ـ وراوول؟

ـ راوول؟ راوول كان شيئاً آخراً. كان لديه كل شيء علّمتني أمي أن أتجنبه، رجل وسيم، جذاب للنساء! رجل بإمكانه أن يفسد كل ما خططته بدقة لمستقبلي.

ـ ومع ذلك تركتيه.

ـ أجل.. أجل.. لقد فعلت هذا. وندمت على ما فعلت في الحال.

ـ لا...

ـ بل نعم.. ولكن هل تتصورين كيف شعرت عندما اكتشفت أنه سيتزوج انيتا؟ لقد أعلن عن الزواج بعد أقل من شهر من...

من.. حسناً! كان هذا كافياً لإقناعي بأن شكوكي به مبررة.

ـ أوه.. جولي!

ـ إذاً، أنت تفهمين الآن، الأمر لم يكن له علاقة بمشاعري

أبداً. كان راوول هو السبب. لقد احتقرني. إنه لا يزال منجذباً لي، ولكنه لا يحبني. ولست أدري كيف تظنين بأنه يحبني.

ـ جولي.. كل ما أعرفه هو أن ولدي، منذ دفنا انيتا، يبدو وكأنه.. رجل ميت. حاولت أن أقنع نفسي بأن السبب هو انيتا، وكدت أقتنع بهذا في البداية، ولكن الأمر لم يكن هكذا لقد أدركت أن ما ينتابه ليس حالة جديدة عليه. لقد قالت لي مارغو بأنه لم يكن يتناول الطعام جيداً منذ شهر. وأنا أخشى من أنه يجهد نفسه بالعمل لدرجة الموت.

والتقطت جولي أنفاسها:

ـ وهل تظنين أن باستطاعتي تغيير الأمر؟

ـ آمل.. وأملي.. أن تستطيعي يا جولي.. راوول يحبك، أعرف هذا. وما إذا كان لا يزال يحبك، فهذا أمر عليك أنت أن تكتشفيه، ولكنه لن يأتي إليك أبداً. لذا أنا أتوسل إليك أن تذهبي إليه.

* * *

تلقى باتريك خبر قرار جولي بالسفر إلى إيطاليا دون دهشة، وقال معلقاً، من خلف طاولته الخشبية المربعة:

ـ لا أستطيع القول إنني لم أكن أتوقع هذا، وأكره أن أقول، إنك لم تكوني متمالكة نفسك منذ رجعتي من هناك. وسيكون من الجيد لك أن تخرجي هذا الأمر من حياتك، إلى الأبد.

وتمتمت جولي بحزن:

ـ وإذا لم أستطع؟

ـ عندها، سأضطر إلى التفكير جدياً بفتح فرع إيطالي.

وصاحت جولي فرحة ومالت من فوق الطاولة لتقبله على خده من

www.elromancia.com

أجل تفهّمه.

في بيتزا، استأجرت جولي سيارة لتصل بها إلى ڤاغيو. في الواقع لم تكن متحمسة كثيراً للقيادة في هذا الطقس المثلج، ولكنها كانت أسرع طريقة للوصول إلى هناك. وكانت تريد الوصول بسرعة، كانت تريد أن ترى وجه راوول عندما يراها. أرادت سماع صوته عندما يكلمها. أردات أن تعرف، وللمرة الأخيرة ماذا بينهما، وما إذا كان الزمن، وسوء التفاهم، قد دمّر تلك الرغبة المحيرة، فالاشتياق ليس حباً، والرغبة ليست حباً، ولكن إذا كان هذا كل ما سيعرضه عليها، فهل سيكون كافياً؟

كان أوائل المساء عندما قادت السيارة الأميال الأخيرة للطريق الملتوي المؤدي إلى القصر. وكان الظلام قد بدأ منذ وقت..

وفي الطريق المظلم غير المألوف، وجدت جولي صعوبة في إيجاد طريقها، وتمنت لو أنها طلبت من الكونتيسة أن تأتي معها، ولكن تلك السيدة، أصرّت على أن تأتي جولي لوحدها، قائلة:

ـ لا يجب أن يعرف راوول بأنني قابلتك. فلن يسامحني أبداً. عديني بأن لا تخبريه، لست أدري ما قد يفعل إذا عرف.

باحة القصر كانت معتمة ومهجورة، ولو لم تؤكد الكونتيسة لها بأن راوول في القصر لكانت ارتابت في وجوده. ولم يظهر أي نور في أي مكان من القصر. ولكن الستائر كانت مسدلة، وهي قادرة على إخفاء أي نور في الداخل.

ودقّت على مقبض الباب، وتساءلت ما إذا كان سيسمعها أحد. الجرس المعدني كان مجرد زينة، ولم يعتني أحد بأن يمد جرساً كهربائياً، وضربت الحلقة النحاسية على الباب الخشبي الصلب مرة أخرى وبقوة، وفكّرت جولي أن تعود لتسعى إلى المبيت في القرية،

ثم تعود إلى القصر في الصباح، عندما فتح الباب إلى الداخل.

ـ سنيوريتا ڤولروك!

وكانت مدبرة المنزل مارغو، وحدّقت بجولي بحزن، وللحظة مريعة، اعتقدت جولي أن مأساة أخرى قد حدثت لم تعلم بها بعد، ولكنها عرفت في النهاية أن حزن مارغو لم يكن بسبب ما كانت تخشاه.

ـ أوه.. السنيورا ليست هنا سنيوريتا. سنيوريتا ڤولروك، لقد تحمّلت عناء السفر من غير فائدة! السنيورا.. السنيورا.. ماتت!

ـ أعرف يا مارغو.

وتمنت أن تدعوها مارغو للدخول، فقد كانت الليلة باردة، وتركت معطفها في السيارة، وعندما كانت واقفة تنتظر أن يرد عليها أحد أحسّت بالبرد يخترق عظامها، ونظرت بلهفة إلى النار المشتعلة في مدفأة الردهة وراء مدبرة المنزل.

ـ لم أكن أعرف...

ـ من هناك يا مارغو؟

الصوت الرجالي الذي سمعته يقول هذه الكلمات أوقف الكلام على شفتيها، وظهر راوول من جهة المكتبة، وكان يدفع شعره إلى الخلف وهو يتكلم، ورأسه مائل إلى الأمام، بحيث أنه لم يتعرف على الزائرة فوراً. ولكن، بعد ذلك، ومارغو تلتفت نحوه، تمد يديها إليه بقلق، رفع رأسه، وشحب وجه جولي لرؤية التعبير الكئيب على وجهه.

ـ السنيوريتا هنا، يا سنيور، لقد قلت لها إن السنيورا قد ماتت!

وصاحت جولي:

ـ أعرف..

وأدركت أن عليها أن تأخذ زمام المبادرة قبل أن يأمرها بالذهاب. وتخطت مدبرة المنزل المصدومة، ودخلت الردهة. ومدّت يديها نحو النار وأضافت:

ـ هل لك أن تطلب من جوليانو أن يدخل لي الحقائب؟

البرد قارس في الخارج ولقد انتظرت طويلاً كي يردّ عليّ أحد.

وبدا وكأن راوول كان على وشك أن يرفض. ولكنه هز رأسه وقال:

ـ الحقائب يا مارغو. . لو سمحت.

ثم قال لجولي:

ـ الأفضل أن تدخلي إلى المكتبة.

وكانت النار مشتعلة في مدفأة المكتبة أيضاً، بدا واضحاً أن راوول كان يعمل هناك. وكان الضوء ينير فوق الطاولة لإبراز الأرقام فوق الأوراق التي يدرسها، والقلم الذهبي ملقى فوقها. وقال باختصار:

ـ اجلسي. هل ترغبين بشرب شيء؟ لديّ بعض الشاي إذا كنت حقاً تشعرين بالبرد.

ـ شكراً لك.

وجلست جولي على أحد المقاعد الجلدية. وراقبته يتقدم من الطاولة، ويحضر الفنجان لها، ثم يملأه بالشاي الساخن. لقد أصبحت متأكدة الآن أن والدته لم تكن تبالغ.

لقد خسر راوول بعضاً من وزنه، فقد بدت سترته وسرواله واسعين على جسده النحيل.

وعندما استدار ليعطيها فنجانها، وجدت الفرصة ملائمة لتنظر إلى وجهه جيداً، وما رأته ملأها بالقلق، راوول مريض حقاً، أو أنه

يعاني مرضا خطيرا. لم تكن قد شاهدت وجه رجل يتغير هكذا من قبل.

ـ شكراً لك.

وأخذت الفنجان منه، وخفّضت عينيها عنه فوراً، سوف يكون هذا أصعب مما كانت تظن، وبدأت تتحضّر للاعتقاد بأن الكونتيسة مخطئة. راوول لا يريدها. حزنه لم يكن بسببها. لقد كانت حمقاء لقدومها إلى هنا بناء على وهم من امرأة عجوز.

ـ لماذا أتيتِ إلى هنا؟

وأسند نفسه على حافة الطاولة وتابع:

ـ أظن من غير المعقول القول بأنك لم تعرفي بموت زوجتي. أتصور أنك أتيتِ لتقدمي لي التعزية. ولكن لم يكن هناك حاجة لهذا. ولو شعرت بأن عليك أن تفعلي، فرسالة منك كانت كافية.

وارتشفت جولي الشاي. ثم استجمعت قواها وأجبرت نفسها على القول:

ـ كم أنت بارد يا راوول. لقد أسفت لسماع خبر وفاة انيتا، ولكن هذا ليس سبب قدومي إلى هنا.

ـ ألم يكن؟ لا أستطيع الاقتناع بأي سبب آخر لقيامك بهذه الرحلة وسط فصل الشتاء.

ـ ألا تستطيع يا راوول؟ ألا تستطيع؟ أنا حقاً لا أصدقك. حتى ولو كنت كتوماً لهذه الدرجة.

ونظر راوول إلى عينيها لعدة لحظات، ثم، وبينما جولي على وشك الاستسلام، أشاح بنظره عنها.

ـ لست أدري ما تعنينه، يا سنيوريتا، لا يمكن أن يكون هناك سبب آخر، لرغبتك في رؤيتي.

وأحسّت جولي بركبتيها تصطكان، ولكنها كانت مصممة:

ـ أنت تعرف أن هذه ليست الحقيقة. بعدما حدث...

ـ بعدما حدث.. متى؟ أتعنين منذ خمس سنوات. عندما رميت بعرضي الزواج منك عرض الحائط؟ أم أنك تشيرين إلى مواجهتنا مع بعضنا منذ ستة أشهر، عندما ذكّرتيني بكل لطف بمسؤولياتي تجاه زوجتي؟

ـ راوول...

ـ لا.. ستسمعيني أولاً! لا بد أنك تظنين أنني غبي. لقد أتيتِ إلى هنا متوقعة أن أعاملك كأي ضيف آخر. في وقت أنت تعرفين جيداً أنك آخر شخص أود أن أراه.

ـ ولماذا؟

ـ لماذا؟

واحتسى آخر رشفة من الشاي، ووضع فنجانه على الطاولة.

ـ لماذا؟ بحق الله يا جولي، ألا تخجلين من نفسك؟ من أي نوع من النساء أنت؟ ماذا يمكن أن يكون هناك لنقوله لبعضنا، وأنت تعرفين من كل قلبك أن كل شيء قد قيل تلك الليلة!

ـ لا!

ـ ولماذا تقولين لا؟

وحدّق بها بوحشية وتابع:

ـ ماذا تريدين مني بعد؟ إلى ماذا تسعين هنا؟

ورفع يده وأشار بها إليها:

ـ لقد قلتِ لي... قلت لي كل شيء عندما تركتيني. أنت يومها لم تأتِ إلى ايطاليا لمساعدتي، بل أتيت لتساعدي انيتا على أن تستغفلني! وبما أنها ماتت الآن، عدتي كي تستكملي تدميري!

ـ هذا ليس صحيحاً!

ووقفت على قدميها لتواجهه، وهي تصرّ بأسنانها لمنعها من الارتجاف.

ـ أوه! وفّري عليّ هذه الهستيريا يا جولي! لقد حصلت على ما يكفي منها لما تبقى من حياتي. مهما كانت أسباب عودتك، لا أريد أن أسمعها. انيتا ماتت! وبالنسبة لي، لقد متِ أنت أيضاً!

ـ لا...

ولم يكن راوول مستعداً للاستماع فقال:

ـ لقد تحملت عناء رحلة طويلة. ومن الطبيعي أن لا أدعك تغادرين في مثل هذا الوقت من الليل... تستطيعين قبول ضيافتي حتى الصباح.. ثم...

ـ إلى الجحيم بضيافتك..

وانفجرت بالبكاء غاضبة، ثم تابعت:

ـ لم آتِ إلى هنا لأستدير وأعود هاربة، لقد أتيت لأنني أحبك، لقد أتيت لأنني أردت أن أقول لك هذا، لقد أتيت لأن حياتي كانت فارغة لخمس سنوات طويلة، وكنت آمل أن نستطيع الآن أن نحصل على فرصة جديدة!

وتوقف راوول وهو في طريقه إلى الباب، ولكن على الرغم من أن صدق كلماتها صدمه، إلا أن ما تعنيه لم يؤثر فيه.

ـ لقد كانت لي تجربة مع حبك يا جولي، خمس سنوات من التجربة، وحسب علمي، لم يفدني هذا كثيراً.

ـ أوه يا راوول، لقد أحببتك طوال هذه الخمس سنوات. ألا تظن أنه قد حان الوقت لنفعل شيئاً؟

والتوى فم راوول بسخرية:

www.elromancia.com

ـ وماذا تقترحين؟ هل تحبين أن أستأجر وكيلاً لي يشرف على أعمالي لأتمكن من قضاء وقتي معك في لندن؟ أم تفضّلين أن أبيع القصر والكروم والمعصرة، وأشتري منزلاً في انكلترا؟ أو ربما تفكرين بأن تتابعي التنقل ما بين ڤاغيو ولندن لتتابعي العمل في وظيفتك؟

ـ توقف عن هذا!

ووضعت يديها فوق أذنيها وأغمضت عينيها أمام سخريته المريرة.

ـ أنت لا تفهم. أنت لا تفهم! أنا لم أجيء إلى هنا لأطلب منك أي شيء مما تقوله. لقد أتيت لأقول لك بأنني أحبك! أليس هذا كافياً؟ ألم تعد تريدني يا راوول؟ حتى ولا كرغبة..؟.

وسقطت يد راوول عن مقبض الباب.

ـ اللعنة عليك يا جولي. اللعنة عليك! أجل.. أريدك والله يعلم. أنا لم أتوقف أبداً عن الرغبة بك. ولكنني وجدت الإرادة أخيراً لأقول لك: ليس حسب شروطك!

وسقطت يدا جولي إلى جانبيها، وقالت:

ـ ولكنك لا تعرف شروطي..

ـ أستطيع أن أحزر.

وأغمض عينيه كي لا يرى توسل العينين الرماديتين، والخدود المبللة بالدموع، وتابع:

ـ إذا كنت تهتمين بي يا جولي، عليك أن تذهبي من هنا. قبل أن أفعل شيئاً سوف أندم عليه بمرارة.

ـ لن يكون أي شيء تفعله مدعاة ندم لي.

وأخذت تمسح الدموع عن وجهها بظهر يدها.

ـ أوه يا راوول، أرجوك توقف عن مقاومتي. أنا بحاجة إليك.. أرجوك.. أرجوك، لا تطلب مني الذهاب!

ـ جولي...

ومد يده المرتجفة إلى مقبض الباب، فرمت جولي بنفسها مسرعة عبر الغرفة، وهي تنتحب بيأس، وأمسكت خصره النحيل ولفت ذراعيها حوله، وضغطت وجهها على ظهره، وصرخت يائسة..

ـ لن أدعك تفعل هذا، لن أدعك!

نعومة، ودفء جسدها على ظهره، حققا ما لم تستطعه الكلمات. فاستدار نحوها وأمسك بها بقساوة، وأخذت أصابعه تحفر لحم خصرها، ولكنه لم يبعدها عنه. ورفع رأسها لتواجهه، وأطلق تنهيدة الهزيمة وهو يحني رأسه ليرتاح فوق رأسها، وطوقها بذراعيه، مظهراً كل المحبة والشوق اللذان طالما كان يكبحهما، ولم يكن لدى جولي أية رغبة في مقاومة كل ما قد يفعله. ودفن رأسه في شعرها، فأخذت ترتجف، فشدّ عليها بثبات وتمتم:

ـ لا بأس الآن. لا عليك، لا أستطيع تركك تذهبين، أعترف بهذا. ولكن إذا تركتيني ثانية يا جولي، أقسم أن أقتلك!

ـ لن أتركك، أنا لم أجيء إلى هنا لوضع الشروط عليك، أنت كل ما أريده من شروط، ولكنني.. فقط... انتظرت طويلاً، واعتقدت أنني خسرتك إلى الأبد.

وقطب راوول جبينه، وقال:

ـ ماذا تعنين؟ بأنك انتظرتي طويلاً؟

ـ تلك الليلة، ليلة خرجت من الفندق، كنت أعلم بأنني قد ارتكبت غلطة فادحة...

www.elromancia.com

ـ ومع ذلك لم تعودي..

ـ لا.. لا.. لم أعد، ولكن بسبب أنني كنت متأكدة بأنك ستبحث عني... لقد كنت عنيدة! ثم قرأت في الصحف خبر زواجك من انيتا.. و.. لم يعد هناك شيء...

ـ كان بإمكانك منعي!

ـ ماذا؟ كنت أظن أنك ستتزوجها لأنك تريدها؟

وحدّق في عينيها:

ـ لقد قلت لك كيف تمّ الأمر.

ـ لقد قلت لي الآن.. ولكن يومها.

ـ يا إلهي يا جولي.. لو أنك تعرفين فقط كم كرهت نفسي تلك الليلة، ليلة تركتيني! قولي لي، لو أنني لم... ألمسك ليلتها، أكان بإمكانك مسامحتي في وقت أقصر؟

ـ أوه يا راوول.. لم يكن هناك شيء يستحق الغفران.. لا شيء. لم أكن ألومك على شيء. على الأقل، ليس حتى اليوم الذي تزوجت فيه انيتا... بعدها اعتقدت...

ـ أنني لم أكن أحبك أبداً؟

ـ كان يمكن لوالدتي أن تقول هذا.

ـ ألم تقولي لها؟

ـ لا.. أنا ووالدتي لا نتكلم عن أمور كهذه، نحن نرى بعضنا ربما مرتين في السنة.

ولمست ذقن راوول بطرف اصبعها بحنان، ثم تابعت:

ـ مؤخراً.. مؤخراً، كنت أتساءل ما إذا كان اللوم بأكمله يقع على والدتي لما حدث لزواجهما، ربما لم يكن لديها مشاعر نحونا كلينا، على كل الأحوال، أعرف الآن أنني لست مثلها. الحياة...

الحياة من دونك مستحيلة..

ـ أوه يا جولي.. كم أضعنا من وقت سدى!

ـ أنا الذي أضعته، أنا الملامة، وليس أحد غيري.

ولفترة طويلة ساد الصمت بينهما، ولكن راوول أبعدها في النهاية عنه وقال:

ـ يجب أن نتحدث، والإمساك بك هكذا.. حسناً! يجب أن نتكلم.

ـ وهل بإمكاني أن أبقى هنا؟

ـ لقد قلت لك هذا.

ـ أعني معك؟.. أوه يا راوول، نستطيع عندها أن نتكلم إلى الأبد، ولكنني الآن أريدك أن تعانقني.

ـ جولي.. إذا استمر العناق...

ـ أعرف.. ولكن هل الأمر سيىء، ستكون رغبتنا معاً أليس كذلك؟

ـ جولي عليّ أن أخبرك شيئاً عن انيتا.

ـ لا حاجة لذلك، أعرف كل شيء.

ـ أريد أن أقول بأنني كنت لا أعرف بأنك تجهلين الحقيقة، حول الطفل.

ـ وأعرف هذا أيضاً.

ـ ولهذا السبب تكلمت معك بتلك الطريقة! ولهذا السبب كرهتك لأنك وقفت في صفها.

ـ راوول لقد انتهى كل شيء الآن.

ـ وهل انتهى؟ ما كان عليّ أن أتزوجها أصلاً.

ـ هي التي تزوجتك يا حبيبي.

www.elromancia.com

واشتدت قبضة يديه على كتفيها.

ـ لقد كنت ألوم نفسي في البداية.. الطفل الأول كان لي. ولو لم تجهض...

ـ راوول لم تكن أنت السبب. لقد قالت لي إنها لم تكن سعيدة هنا. وإنها كانت ضجرة.

فهز رأسه وقال:

ـ أعتقد أنها كانت تتوقع نوعاً آخر من الحياة.

ولمعت عينا جولي بالعاطفة:

ـ حبيبي، ألا نتوقع جميعنا نوعاً آخر من الحياة؟

ـ ما كنت تركتها، وأنت تعرفين هذا.

ـ أعرف.. ولم أكن لأطلب منك أن تفعل.

ـ آه.. يا جولي...

وضمها بين ذراعيه وهو يتأوه بحرارة وهمس في أذنها:

ـ أحبك كثيراً، كثيراً جداً، وليس هناك كلمات تكفي لوصف مشاعري.

* * *

ـ ألن ننام.؟

ـ أمامنا العمر كله لننام، أريد فقط أن أتأكد أنني لست في حلم.

ـ لسنا نحلم.. تبدو بأفضل حال الآن. لقد كنت قلقة عليك عندما وصلت..

وابتسم راوول:

ـ هل أعتبر هذا إطراء لي؟ أم أن هذا لإقناعي بأنني لن أستطيع العيش من دونك.. صدقيني لست بحاجة لبرهان آخر.

ـ وهل ستعود معي إلى لندن؟ كي تساعدني في إخلاء شقتي.

ـ حبيبي.. باتريك، رب عملي.. يعرف بأنه بحاجة إلى مساعدة جديدة له بدلاً عني، ولكن عليّ شرح الأمر لمدبرة منزلي. مسكينة السيدة باتس.. لست أدري ماذا ستفعل.

ـ ألا تظنين بأنها قد تحب العيش في ايطاليا؟ ستحتاجين لمن يسهر على راحتك، أليس كذلك؟ وستكونين سعيدة بامرأة انكليزية تعتني بأطفالنا.. عندما نرزق بهم.

والتمعت عينا جولي:

ـ أوه يا راوول.. كم هذه الفكرة رائعة!

ـ أنا سعيد لأنها أعجبتك، و.. أجل سآتي معك إلى لندن. فلست أنوي أن أسمح لك بأن تتركيني ثانية. ولكننا سنعود إلى ڤاغيو لقضاء الميلاد، إذا كان بإمكانك تحمّل الطقس!

ـ هنا منزلنا يا راوول.

ـ وانيتا؟

ـ ربما ستكون سعيدة لمعرفتها بأننا سعداء، ولكنني سعيدة لأنك لم تكن تشاركها النوم في غرفة واحدة، سنغيّر ديكور الغرف التي كانت تستخدمها للضيوف.. لوالدتك.

ـ والدتي! آه.. أجل، أظن أن والدتي ستكون سعيدة.

ـ وكذلك أنا.

وقال لها معترفاً:

ـ لم تكن تريدني أبداً أن أتزوج من انكليزية، إلى أن التقت بك، فغيّرت رأيها.

ـ وهل غيرت رأيها؟

واستكانت جولي بين ذراعيه، وفكّرت بأن السيدة العجوز لا بد أن تكون سعيدة، لأن خططها نجحت...

www.elromancia.com